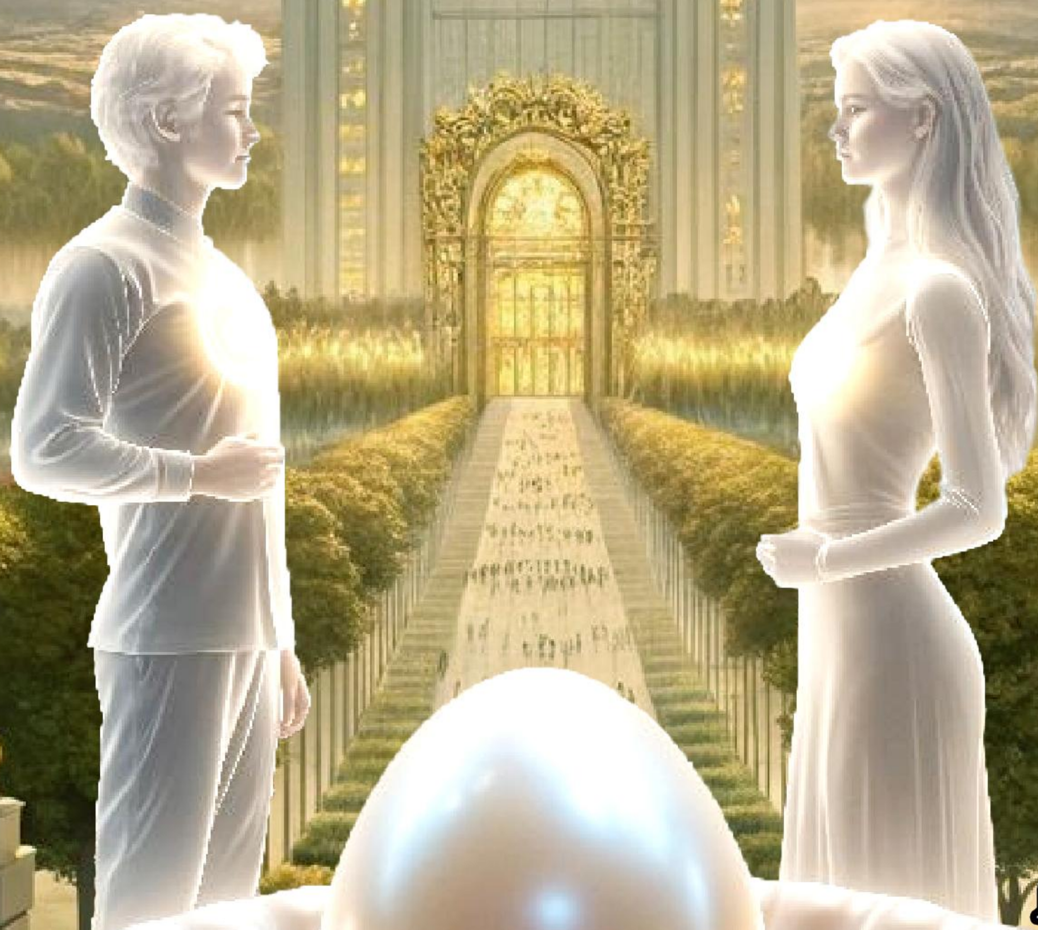


ماذا ستفعل النساء في الجنة ؟





د. رشيد الجراح

Certificate of Registration
CopyrightFrance

Copyright Registration Number: 9H2F1R2

CopyrightFrance.com, Website registered under number 2104 by the State Prosecutor of the High Court of Evreux (FRANCE) certifies having delivered the certificate of the original following registration

Name of the registrant: Rasheed Saleem Al-Jarrah

Title or URL of the registered document: https://www.dr-rasheed.com/

Description: Dr. Rasheed's blog documents his lifelong reflections on the Quran, offering linguistic and analytical insights without adhe ring to any specific sect. The goal is to officially archive and le gally protect his writing, ideas and stories presented in the blog.

Date / time of the registration: 15-02-2025 à 20:46

The submitted document has been time stamped by a RGS qualified Certification Authority and ETSI TS 102 023 certified.

Paris (date) 15-02-2025 - **The publication manager G.E.E. :**

Reminder : (code of the intellectual property, extracts) :

✔ **Point L.335-2.** All publishing of written documents, musical composition, drawing painting or any other totally or partly printed, engraved production regardless of the laws and regulations concerning author's property is a forgery and any forgery is an offence. In France, forgery of published work in France or abroad is punished by 3 years in prison and a 300.000 euros fine. Will be punished the same way selling export and import of counterfeit work.

✔ **Point L.335-3.** Is also considered a forgery offence all reproduction , representation or circulation by any mean, of piece of spiritual work by violating the author's rights, as they are set and regulated by law. Is also considered as a forgery offence the violation one of the owner of the software's rights.



3c14c5091f191db578780f4e846d7a176d3cb058592f3b129f067ba1aa063728

كلمة فريق عمل مدوّنة روح

الحمد لله الذي علّم الإنسان بالقلم، وخصّه بنعمة البيان، وجعل تدبّر كتابه العزيز سبيلًا للهداية. أمّا بعد،

يمرّ الفكر الديني المعاصر بمنعطفٍ تاريخي يفرض إعادة تأسيس العلاقة مع النصّ المؤسِّس؛ فكثير من المفاهيم والمناهج قد ترسّخت عبر القرون حتى غدت في الوعي العام بمنزلة المسلّمات المطلقة. في خضمّ هذه الحاجة الملحة للمراجعة والتجديد، يأتي مشروع الأستاذ الدكتور رشيد سليم الجرّاح ليقدّم قراءةً مغايرة للقرآن الكريم، قراءةً لا تكتفي بحدود التفسير الموروث بل تتجاوزه نحو فهمٍ جديد يتأسّس على منهجٍ علميٍّ دقيق، يلامس روح النصّ بعمق ويقترب من منطق العقل والفطرة السليمة.

لعلّ في الاسم الذي يحمله الدكتور رشيد سليم الجرّاح إشارةً بالغة الدلالة؛ فهو بحقٍّ يُجري عمليةً جراحية للكلمة القرآنية. إنه يتعامل مع مفردات الوحي برُشدٍ متناهٍ، كأنّه يضعها تحت مجهر الفكر واللغة، فيُريك نسيجها العضوي، ويكشف عن أعصابها الصرفية وعروقها الدلالية، لتتجلّى بذلك أبعادها النفسية والمادية العميقة. هكذا تتحوّل الكلمة في مشروعه من مجرّد رمزٍ صوتي إلى كيانٍ حيٍّ نابضٍ بالمعنى، يحمل إمكانات التأويل التي تنتظر التحرير.

لقد كانت أبحاث الدكتور الجرّاح ومقالاته بمثابة أطروحات نوعية تميّزت بالعمق والجرأة الفكرية، فمثّلت دعوةً صريحةً لإعادة بناء علاقتنا التلقّائية بالوحي، لا على قاعدة التلقّي الجامد، بل على أساس الفهم المتدبّر والتحليل العلمي المحكم. وهي دعوةٌ ضرورية تُعيد إلى النصّ حيويته الجوهرية، وإلى الفكر الديني توازنه المنشود، وتُحيي مسؤولية الباحث في إعمال العقل وكسر حاجز السؤال الموقوف.

وانطلاقًا من قناعتنا الراسخة بأهمية هذا المشروع الريادي، وبضرورة حفظه وتوثيقه ليكون مرجعًا للباحثين والمهتمين، تضافرت جهود فريق المدوّنة. لقد قمنا بجمع هذه المقالات والدراسات المنشورة، ومن ثم تنظيمها وتصنيفها وتحريرها بعناية فائقة، لتصدر الآن في هذا العمل المتكامل الذي نضعه بكل تقدير بين يدي القارئ الكريم.

نحن نؤمن يقينًا بأنّ هذه الكتابات تمثّل إسهامًا محوريًا في مسار الفكر القرآني المعاصر، وأنها تفتح آفاقًا رحبة للتأمّل والمراجعة والتجديد، بما يليق بكتابٍ أنزله الله للعقل قبل التقليد، وللحياة قبل التاريخ.

إنّ هذا العمل ليس سوى نقطة انطلاق في مسارٍ نأمل أن يكون مستدامًا؛ وفاءً لصاحب هذا المشروع العلمي الرائد، وإيمانًا بما قدّمه من اجتهادٍ صادق ورؤيةٍ علمية مغايرة تستحقّ كل التقدير والاحتفاء.

فريق عمل مدوّنة الدكتور رشيد الجراح:

- المهندس **عامر محمد العوض، مهندس نظم المعلومات من مايكروسوفت.**
- المهندس **زكرياء مصباح، مهندس مدني.**
- الأستاذ **مصطفى عيسى، مصمم ديكور ومستشار في العقارات.**
- الأستاذ **محمد عادل الخولي، مستشار في العقارات.**
- الدكتور **يوسف فرمي، مهندس البحث والتطوير في الإلكترونيات الدقيقة والبصريات.**

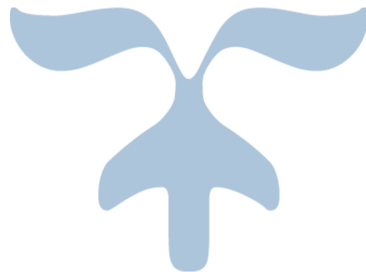
للإتصال بالفريق : roohblog2025@gmail.com

الفهرس



ماذا ستفعل النساء في الجنة؟

(الجزء الأول)



ماذا ستفعل النساء في الجنة (1)؟

تمهيد

سألني صديقي العزيز "علي" سؤالاً كان يسبب لي على الدوام قلقاً معرفياً وهو: ماذا ستفعل نساؤنا في الجنة بوجود الحور العين التي يستطيع أن يتمتع الرجال بهن؟ هل ستجلس أمي إلى جانب زوجها لتشاهده يتمتع بالحور العين؟ وهل ستتحمل ذلك المنظر؟ أم هل ستكون موجودة في مكان آخر في الوقت الذي يقضي فيها زوجها أوقات ممتعة في صحبة الحور العين؟ وماذا ستفعل به حين يعود إليها وهي تعلم أنه قد قضى وقتاً ممتعاً مع غيرها؟ أم هل سيكون لها طريقتها الخاصة بالتمتع في الجنة تختلف عن طريقتها في الدنيا؟ أم هل ستجد في الجنة من يمتعها كما وجد زوجها من تمتعه؟ أم...؟ أم...؟

أسئلة كثيرة دارت في خلد صاحبنا فلم يسكت عليها، فطرحها عليّ ظاناً أن عندي إجابات ربما تسكت قلقه ورغبته في المعرفة ولو فترة من الزمن؟

وكانت المفاجأة المعهودة التي تلقاها مني تتمثل في توصله إلى حقيقة بسيطة وهي: أني أكثر جهلاً منه؟ فكما تخالجه تلك الأسئلة فقد خالجتني منذ بلغت مبلغ الذكورة، وحاولت منذئذ أن أقنع نفسي بما توافر من إجابات عند أهل الدين، ولكن صاحبي أبى إلاّ أن يفكر بصوت مرتفع، فطرح الأسئلة من جديد، فلم أجد بداً من تصديق ظني بأن هناك من يخالجه مثل هذا التفكير، فلست أنا وحدي من يشكك بصحة طرح علمائنا الأجلاء. فكان الزعم الذي انطلقنا منه معاً يتمثل في ظننا أن ما هو موجود من إجابات حول هذه الأسئلة قد لا يرقى – في نظرنا- أن يكون علماً، فهو ليس أكثر من آراء تعكس فكر من ظنّوها صحيحة، وما دام الأمر كذلك، فقد اتفقت وصاحبي أن نخرّص ولكن على طريقتنا، محاولين – إن أذن الله لنا بشيء من علمه – فهم النصوص القرآنية التي ربما – من وجهة نظرنا – تتعلق بالسؤال المطروح حالياً وهو: ماذا ستفعل النساء في الجنة بوجود الحور العين؟

بادئ ذي بدء، أجد لزاماً – من باب رد الفضل إلى أصحابه – القول بأن التخريصات التي سنقدمها في هذا البحث ليست من بنات أفكاري وحدي، وإنما هي جهد مشترك مع صاحبي القديم "علي"، فقد بذل فيها جهداً لا يقل فائدة (إن كان هناك أصلاً فائدة) عن ما بذلت أنا، لذا فاللهَ أسأل – إن كان في ذلك أجراً – أن يشطره بيننا. ولكن إن كان في ذلك وزرا، فأسأله جلّ وعلا أن يكون من نصيبي وحدي لأني عندئذ أكون أنا من أوقعته في فخ أفكاري اللعينة.

ونحن إذ نحاول الخوض في مثل هذه القضية لا ننسى أن نذكّر من يخالفنا الرأي (وهم لا شك كثيرون) أن الله قد حسم الأمر في منهجية الخلاف بين المتخاصمين في قوله تعالى:

- ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٥﴾ [سبأ: 25]

وفي الوقت ذاته لا ينقصنا الإيمان بأن الله مظهر الحق لا محالة، لأنّ الآية التي تلي ما سبق من قرآن هو قول الحق:

- ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ۝٢٦﴾ [سبأ: 26]

دعاء: اللهم نسألك أن تأذن لنا ولأبناء المسلمين بشيء من علمك يبين لنا ما اختلفنا فيه.

أما بعد

السؤال: ماذا ستفعل النساء في الجنة؟

إن مجرد طرح هذا السؤال يجبرنا العودة إلى أساس الخلق لنفهم الفرق بين الذكر والأنثى، الذكر ممثلاً بآدم والأنثى ممثلة بزوج آدم وهي حواء (كما يرغب أهل الديانات السماوية أن يسموها). وهنا نجد لزاماً لفت انتباه القارئ الكريم إلى أننا لن نعود إلى طرح الأفكار التي قدمناها في مقالتنا السابقة تحت عنوان ثلاثية المرأة (جدلية الذكر والأنثى، زواج المتعة، وتعدد الزوجات)، فمن أراد أن يكلّف نفسه عناء القراءة بعد هذا السطر، فإننا نظن أن من المفيد مراجعة ما ورد في تلك المقالات السابقة.

كيف بدأ الخلق؟

مما لا شك فيه أن من أبجديات عقيدتنا أن أساس الخلق هي نفس واحدة خلقها الله بيديه

- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝٩٨﴾ [الأنعام: 98]

وهي تلك النفس التي رفض الشيطان السجود لها:

- ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ۝٧٥﴾ [ص: 75]

ولكن المتدبر للآية قبل السابقة يجد أن الله قد أنشاء الخلق من تلك النفس إنشاء، وهنا تستوقفنا هذه المفردة لفهم كيفية ذلك الإنشاء، وكيف يمكن أن تختلف عملية الإنشاء التي وردت في الآية السابقة عن عملية الخلق التي ترد في قوله تعالى:

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾ [الروم: 21]

أو عن عملية الجعل التي ترد في قوله تعالى:

- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ۝٧٢﴾ [النحل: 72]
- ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: 11]

نتيجة: هناك ثلاثة ألفاظ تناوبت في هذه السياقات القرآنية وهي: الخلق والجعل والإنشاء

عملية الإنشاء

تطرقنا في مقالات سابقة لنا إلى الفرق بين الخلق والجعل (انظر مقالتنا تحت عنوان مصادر التشريع في الإسلام)، لذا سنفرد مجالا أكبر من النقاش إلى مفردة الإنشاء، لنعود إلى مفردتي الخلق والجعل مرة أخرى متسلحين بفهمنا لهذه المفردة الجديدة)

أولاً، ربما نستطيع الزعم بأن عملية الإنشاء لا يترتب عليها اختلاف في الصنف، وقد يدعم مثل هذا الظن ما جاء في قوله تعالى:

- ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ۝١٣٣﴾ [الأنعام: 133]

فبالرغم أن الله أنشأنا من ذرية قوم آخرين إلا أننا لا نختلف عنهم في الصنف، فنحن بشر كما كانوا هم بشرا. ويؤكد ظننا هذا قول الحق:

- ﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون: 14]

فلو كانت عملية الإنشاء بحد ذاتها ينتج عنها اختلاف في الصنف لما كان هناك داع لوجود عبارة "خَلۡقًا ءَاخَرَ" مصاحبة لمفردة " أَنشَأۡنَٰهُ ". ولنتدبر المثال التالي:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ۝١٢﴾ [الرعد: 12]

فالسحاب ينشأ إنشاء لأنه – في رأينا – لا زال يحمل ذرات الماء التي نشأ منها.

ثانياً، نحن نزعم الفهم بأن الإنشاء هو عبارة عن تحول تراكمي تدريجي: أي تحول من حالة إلى حالة أكثر تقدماً ليس دفعة واحدة، وبكلمات أكثر دقة فإننا نظن أن الإنشاء هو "جعل بطيء" لنفس الصنف:

- ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: 141]

فكما السحاب يتكون شيئاً فشيئاً، ينشئ الله أمماً كثيرة بهذه الطريقة:

- ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: 11]

وينطبق هذا على عملية التحول التي تحصل للجنين في بطن أمه:

- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: 14]

ونؤكد هنا مرة أخرى أن الإنشاء لا يعني تغيراً في الصنف، وإلاّ لأصبح من غير الضروري أن يقول الرحمن في كتابه " ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ" ، ولاكتفى بالقول ثم أنشأناه فتبارك الله أحسن الخالقين، فوجود عبارة " خَلْقًا ءَاخَرَ " تدلنا على أن ذلك ليس جزءاً من معنى الإنشاء. ونزيد على ذلك بالقول أن عملية تكون الجنين في بطن أمه تستغرق تسعة أشهر (كما يتداول الناس بينهم من معرفة).

مقارنات

لو تدبرنا السياقات القرآنية التالية وعقدنا مقارنة بينها مركزين على التناوب في اللفظ بين أَنْشَأَ و جَعَلَ:

- ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: 78]
- ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: 23]
- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: 9]
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المؤمنون: 78]

لخلصنا إلى النتيجة بأن السمع والأبصار والأفئدة جعلت وأنشئت، ولربما فهمنا أن السمع والأبصار والأفئدة قد مرت بمرحلتين: مرحلة الجعل ومرحلة الإنشاء، وهذا يعني في فهمنا الحالي أنها (السمع والأبصار والأفئدة) جاءت دفعة واحدة بدليل وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ، لأن مفردة الجعل كما سنرى لاحقاً قد تحصل

دفعة واحدة، ولكن ما أن يجعلها الله كذلك حتى تبدأ عملية أخرى وهي عملية الإنشاء، أي التقدم التدريجي والنمو التدريجي بدليل: أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ.

عملية الخلق

فالإنسان لم يكن في لحظة ما شيئاً مذكورا، فأصبح هناك عملية خلق وهو لم يكن شيئاً:

- ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾﴾ [مريم: 9]

وهذا لا يعني أن الخلق يحصل دائماً من العدم، فقد يكون الخلق من شيء آخر مختلفاً تماما كخلق الإنسان من طين مثلاً:

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: 12]

أو خلقه من الماء المهين:

- ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [المرسلات: 20-21]

وبعد أن تم خلقه وأصبح شيئاً تمّ جعله سميعاً بصيرا:

- ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: 1-2]

عملية الجعل

إننا نظن أن من أبسط معاني الجعل أن يحدث دفعة واحدة مصداقاً لقوله تعالى:

- ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ [هود: 82]
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المؤمنون: 23]
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: 12-14]

العلاقات

الخلق: الجعل: الإنشاء

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن العملية برمتها تتم على النحو التالي: يبدأ الله بخلق ما يشاء (من أي مادة شاء سواء كان ذلك من العدم أو من نفس المادة أو من مادة أخرى)، ثم يجعل ما يشاء كما يريد (دفعة واحدة)، ثم ينشئ الخلق إنشاء (كتطور طبيعي). هل هذا منطق مقبول؟

الآن لنحاول تطبيق ذلك على تكون الأزواج، فالله خلقنا من نفس واحده وخلق منها زوجها:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1]

فتلك النفس (آدم) وذلك الزوج (حواء) جاءوا إلى الوجود خلقاً (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)، وقد حصل أن خلق الله "حواء" من نفس مادة آدم - أو بكلمات أكثر دقة- من نفس آدم. ومع هذا، فإننا نجد أن القرآن الكريم يثبت أن الله خلق الأزواج كلها (وليس فقط حواء) من ثلاثة أصول هي:

(1) مما تنبت الأرض و

(2) من الأنفس و

(3) مما لا نعلم:

- ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس: 36]

وسنتعرض لهذه الأصول الثلاثة بشكل منفصل، ولنبدأ بالأصل الذي يخصنا هنا أكثر وهو خلق الإنسان، فلا شك أن النفس الأولى التي خلق الله منها زوجها كانت نفس آدم، لذا كانت تلك النفس نفس مذكرة (باعتبار تقابل الجنس –Gender – بين الذكر والأنثى)

نتيجة (1): بدأ الخلق من الذكر بدليل خلق حواء من نفس آدم.

وهنا ربما يطرح سؤال غريب مفاده: ماذا كان جنس الزوج الذي خلقه الله من نفس آدم؟ أو بكلمات أكثر دقة: ماذا كان جنس حواء يوم أن خلقها الله من نفس آدم؟ هل كانت أنثى؟

ربما يرد البعض على الفور بالقول بأنها كانت مؤنثة، بدليل أنها حواء، وهل في هذا شك؟!

السؤال: من أين جاء الاسم حواء؟ هل هذا الاسم موجود في كتاب الله؟!!!

افتراء من عند أنفسنا : دعننا ننطلق للحظة من الافتراء التالي: إننا نظن أن الزوج الذي خلقه الله من آدم لم يكن على هيئة المؤنث (الذي نعرف الآن).

ولكن أين الدليل؟

إننا نظن أن ما جاء في الآيات الكريمة التالية قد يدعم زعمنا هذا، فلنعقد مقارنة بين ما جاء في سورة النساء مع ما جاء في سورة الأعراف حول خلق الزوج من تلك النفس:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1]
- ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف: 189]

ركّز – عزيزي القارئ – على ما تحته خط وانظر التناوب في اللفظ لنصل إلى حقيقة قرآنية يصعب المجادلة فيها وهي أن عملية تكون الزوج من النفس قد وردت في القرآن الكريم بلفظتين وهما: خَلَقَ (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) و جَعَلَ (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا). وهنا لا نتردد عن طرح السؤال المعهود على الدوام وهو: ما الفائدة التي يمكن أن نخلص إليها من هذا التنوع اللفظي، فتارة ترد الفكرة على نحو وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وترد تارة أخرى على نحو وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)؟

الجواب: إننا نظن أن تكوّن ذلك الزوج (الذي خلقه الله من نفس آدم) قد خضع لعمليتين وهما (1) عملية الخلق و (2) عملية الجعل:

وهنا نجد لزاماً التركيز على وجود مفردة وَجَعَلَ في هذا السياق، لظننا أن الغالبية العظمى من الناس قد لا تختلف في قضية الخلق، فحواء خلقت زوجاً من نفس آدم، ولكن السؤال الذي نظن أنه جديد هو: كيف جعلت حواء زوجاً من نفس آدم (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)؟

إننا نزعم فهم هذه الآية على النحو التالي: بعد أن خلق الله الزوج (حواء) من تلك النفس الأولى (آدم)، لم يترك ذلك الزوج (حواء) على هيئة خلقته الأولى، ولكن الله قد جعله زوجاً، وهذا يعني حسب منطقنا الذي نحاول تسويقه هنا حصول تحول في كينونة ذلك المخلوق الجديد، بدليل أن الله قد جعله جعلاً بعد أن كان قد خلقه خلقا.

الدليل:

يبدو هذا التدرج في الصيرورة (أو التكوّن للزوج حواء) من مرحلة الخلق إلى مرحلة الجعل واضحاً بوجود مفردة " ثُمَّ" في قوله تعالى:

- ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر: 6]

فما الذي تحول في حالة ذلك الخلق (حواء) يوم أن جعله الله زوجاً لآدم؟ فلو افترضنا (كما ظن كثير ممن سبقونا – هذا إن كانوا قد انتبهوا للقضية أصلاً) أن الخلق والجعل شيئاً واحداً لأصبح الاستنتاج الذي لا نرغب الوصول إليه هو: هناك تكرار غير ضروري في كتاب الله، وهذا ما نرفضه جملة وتفصيلاً، لأنّنا نؤمن إيماناً يقينياً أن الله لا يقول شيئاً إلا ويكون من وراء ذلك معنى عظيم لا يتجلى إلاّ للذين يتفكرون في هذا الكتاب العظيم.

رأينا: إننا نعتقد أن التحول (أو الجعل) الذي حصل لذاك الزوج (حواء) كان تحولاً في الجنس Gender، ولنتدبر قوله تعالى:

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: 21]

إننا نظن أننا بحاجة أن نقف مع هذه الآية الكريمة وقفة طويلة بعض الشيء لنتدبرها بشيء من التفصيل. فمما لا شك فيه أننا نستطيع أن نقسم ما جاء في هذه الآية الكريمة إلى نصفين وهما:

خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً

وهنا نطرح سؤالين اثنين هما:

ما هو السبب الإلهي الحقيقي **لخلق** الأزواج كما ورد في هذه الآية الكريمة؟

ما هو السبب الإلهي الحقيقي **لجعل** الأزواج كما ورد في هذه الآية الكريمة؟

جواب السؤال الأول: إننا نظن أن السبب الحقيقي **لخلق الأزواج** الوارد بصريح اللفظ في الآية الكريمة هو **السكن** بدليل قوله تعالى:

خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

فالله خلق لآدم من نفس آدم زوجاً (حواء) ليسكن آدم إلى ذلك الزوج.

جواب السؤال الثاني: إننا نظن أن السبب الحقيقي **لجعل الأزواج** الوارد بصريح اللفظ في الآية الكريمة (لم يكن للسكن فقط وإن هو وجد) ولكن لأكثر من ذلك وهو المودة والرحمة بدليل قوله تعالى:

وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً

افتراء خطير من عند أنفسنا: إننا نفتري القول: لقد كان السكن هو محرك (أو دافع) عملية الخلق، وكانت المودة والرحمة هي المحرك (أو الدافع) لعملية الجعل.

النتيجة: إننا نزعم الفهم بأن الآية الكريمة تتحدث عن السكن كهدف للخلق، فالله قد خلق لآدم زوجاً من نفسه ليسكن إليه، ولكن عملية التكوّن للزوج (حواء) لم تتوقف عند ذلك الحد، بل دخل ذلك الخلق (وهو حواء) في عملية جعل (أي تحول)، وكان الهدف من ذلك ليس السكن فقط وإنما المودة والرحمة

وهنا ربما يرد من يمكن أن يقتنع بمثل هذا الاستنباط (على ركاكته) بالقول: ما الفرق بين الاثنين (السكن من جهة والمودة والرحمة من جهة أخرى)؟ كيف يختلف الاثنان؟ أو بكلمات أكثر دقة: ما الفرق بين أن يسكن آدم إلى حواء وأن يكون بينهما مودة ورحمة؟

لقد وصل استنباطنا إلى النقطة التي نحتاج أن نميّز فيها بين الهدفين اللذين وردا في الآية الكريمة نفسها وهما:

1. السكن: خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
2. المودة والرحمة: وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً

السكن

ملاحظة (1): لو أمعنا التدبر في الآية نفسها لوجدنا اختلافا لفظياً يثير الانتباه بين القسم الأول في الآية الذي يتحدث عن السكن والقسم الثاني الذي يتحدث عن المودة والرحمة من الآية نفسها، والاختلاف يكمن في العلاقة الناشئة عن عملية السكن والعلاقة الناشئة عن عملية المودة والرحمة، ولنعيد الآية الكريمة لنتدبرها من هذا الجانب:

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: 21]

فالمدقق في اللفظ جيداً قد لا يفوته الفهم أن **آدم هو من يسكن إلى حواء**، بينما لا يوجد إشارة إلى أن حواء تسكن إلى آدم بدليل قوله تعالى:

- خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

فعملية السكن تكون من طرف واحد ولا تكون من طرفين بطريقة تبادلية (أو reciprocal باللسان الأعجمي)، وهذا واضح من الآيات التالية:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ٦٧﴾ [يونس: 67]

فالإنسان يسكن في الليل (أو يجد في الليل سكناً)، لكني لا أظن أن الليل يسكن إلى الإنسان، فعملية السكن قادمة من طرف واحد، ويمكن أن ينطبق ذلك على حالة آدم وزوجه من جهة والجنة من جهة أخرى، فآدم وزوجه سكنا الجنة لكني لا أظن أن من المفترض أن تكون الجنة قد سكنت إليهم:

- ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: 35]

وها هم قوم موسى يسكنون في القرية، ولكني لا أظن أن القرية كانت تسكن إليهم:

- ﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدًا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٦١﴾ [الأعراف: 161]

وهذا بالضبط ما نفهمه من معنى السكن في قوله تعالى:

- ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفًا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾ [الأعراف: 189]

فإما أن يسكن آدم إلى حواء، أو أن تسكن حواء لآدم، ولكن العملية لا تتم بين الطرفين في آن معاً. فقد يجد الزوج سكانا في زوجته في لحظة ما ولكن قد لا تشاطره الزوجة ذلك الشعور في نفس اللحظة، والعكس صحيح فقد تجد الزوجة في زوجها سكناً لها في لحظة ما يكون الزوج مشغول عنها بغيرها، وهكذا.

والسكن هو استقرار في مكان ما كما البيت مثلاً:

- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتًا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ٨٠﴾ [النحل: 80]
- ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِىٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: 37]

فالريح عندما تسكن تتوقف عن الحركة:

- ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٣٣﴾ [الشورى: 33]

النتيجة: لقد خلق الله لآدم من نفسه زوجاً ليسكن إليه، ربما ليبقى مرتبطاً به فلا استغناء له عنه، بالضبط كما لا يستطيع الإنسان الاستغناء عن المكان الذي يسكن فيه، فالزوج (هي) تحد من حركته فلا تدعه ضالاً وجهته (أو بالكلمات المصرية: داير على حل شعره) ، فالرجل الذي يتزوج ويصبح له زوجاً تكون أول مهام ذلك الزوج (المرأة) أن تسكنه، فيرتبط بها كارتباط الإنسان بالمكان الذي يعيش فيه.

ولكن هل هذا فقط الهدف من وجود حواء رفيقاً (زوجاً لآدم) في الجنة؟

كلا، لقد قضت حكمة الله أن لا يبقى ذلك الزوج خلقاً، وأن لا يقتصر الهدف من الصحبة على السكن، وأن لا تبقى العلاقة الناشئة بينهما غير تشاركية، بل مرّ ذلك الخلق الجديد (حواء) بمرحلة جعل (أي تحول من حالة إلى حالة)، وكان الهدف من ذاك الجعل هو المودة والرحمة. وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً بالضبط ليتحقق المراد من الآية الكريمة:

- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل: 72]

ملاحظة (2): لو دققنا النظر في إحكام مفردات هذه الآية الكريمة جيداً لوجدنا أيضاً أن الخطاب انتقل من صيغة إشراك الطرف الواحد في حالة الخلق خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا، إلى الحالة التبادلية: وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ، فالمودة والرحمة لم تكن من طرف آدم أو من طرف حواء فحسب، وإنما أصبحت علاقة تشاركيه بين آدم وزوجته بدليل قوله تعالى (وَجَعَلَ بَيْنَكُم)، وهنا يثار السؤال التالي: ما هي العلاقة التشاركية بين الرجل والمرأة؟

رأينا: إنها العلاقة الحميمة (الجنسية).

إذن، خلق الله آدم وخلق من آدم زوجا (حواء) لتكون سكناً له، وقضت حكمته جل وعلا أن يدخل على ذلك الزوج تغيراً لكي تتعمق العلاقة بينهما، فتصبح أكثر من مجرد سكن (لأن السكن يكون من طرف واحد)، وليصبح بينهما مودة ورحمة (علاقة زوجية حميمة). فلا تنشأ تلك العلاقة الجديدة بوجود طرف واحد بل لابد من وجود الطرفان في نفس المكان والزمان. وكان من مقتضيات تلك العلاقة الزوجية الحميمة حصول تحول فيزيائي يمكّن تلك العلاقة من الوقوع، فحصل أن أصبحت حواء جسماً مختلفاً في تركيبته البنيوية (الفيزيائية) عن آدم، **فكان الذكر وكانت الأنثى كنتيجة لعملية الجعل التي حصلت بعد الخلق**. وهنا أصبح الاثنان (آدم وحواء) زوجان، فآدم زوج لحواء، وحواء زوج لآدم.

ولا يظنن أحد بأننا نقصد أن ذلك التحول الفيزيائي في بنية الجسم قد حصلت لحواء فقط، ولكنها ربما تكون قد حصلت لآدم كذلك. فبعد أن كانا حواء وآدم زوجان يسكن طرف منهم إلى الطرف الآخر، نشأت بينهما علاقة تشاركيه يمتّع فيهما الطرفان بعضهما ببعض (المودة والرحمة). فليس هناك في العربية لفظة

خاصة بالأنثى ولفظة أخرى خاصة بالرجل عند الحديث عن الزوج، ولكن اللفظة واحدة (زوج) تستخدم للطرفين، فالأنثى زوج والذكر زوج.

خروج عن الموضوع

سنتعرض الآن إلى عدة مواقف تتحدث عن تزويج النفوس:

الموقف الأول: وردت الآيات الكريمة التالية في القرآن العظيم:

- ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤﴾ [التكوير: 1-14]

لا شك أنّ القارئ العادي لهذه الآيات الكريمة يدرك أنها تصور مشاهد من يوم النشور بعد انقضاء الحياة على الأرض، وخروج الناس إلى ربهم للحساب، وقد يرد البعض بالقول: وما علاقة ذلك بموضوعنا هنا؟

الجواب: إن جلّ ما نود إثارته هنا هو استفسار حول واحدة من هذه المشاهد وهو ما يرد في قوله تعالى:

- وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ

لنطرح **السؤال** التالي: لماذا ستزوج النفوس في ذلك المشهد الرهيب؟ هل الموقف يسمح للتزاوج في تلك اللحظة؟ ولماذا ستزوج النفوس حتى قبل أن تنشر الصحف (راقب تسلسل الأحداث في الآيات السابقة)؟ ولماذا ستزوج النفوس قبل أن تسعّر الجحيم؟ ولماذا ستزوج النفوس قبل أن تزلف الجنة؟

النتيجة: نظن أن الآيات الكريمة تبين لنا أن النفوس ستزوج في يوم الحساب، أليس كذلك؟

(دعنا لا ننسى هذه الفكرة لنعود إليها بعد قليل)

الموقف الثاني: وردت الآيات الكريمة التالية في القرآن العظيم:

- ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٢٣ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ۝٢٦ وَأَقۡبَلَ

بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا
عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ
يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الصافات: 21-33]

السؤال: لماذا سيحشر الذين ظلموا مع أزواجهم ليتم زجهم في الجحيم معا؟ أليست كل نفس بما كسبت رهينة؟ فلنقرأ الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: 48]
- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة: 123]
- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: 281]
- ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: 286]
- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران: 25]
- ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: 30]
- ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران: 161]
- ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النحل: 111]

ويأتي الآن التساؤل الكبير التالي: ماذا لو كانت الزوجة صالحة والزوج غير صالح (كما في حالة فرعون مثلاً)، أو العكس: الزوجة غير صالحة والزوج صالح (كما في حالة نوح ولوط)؟ فكيف سيتم محاسبة كل نفس على ما عملت ثم يتم الزج بالناس في النار أزواجا، ويدخل الناس وأزواجهم الجنة؟ فهل يعقل أن يجتمع فرعون مع امرأته؟

- ﴿۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات: 22-23]

أو هل يعقل أن يجتمع نوح مع امرأته أو لوط مع امرأته؟

- ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦﴾ [يس: 55-56]

النتيجة: الحشر سيتم للأزواج بالرغم أن كل نفس بما كسبت رهينة،

ولكن كيف سيكون ذلك؟

تخريج من عند أنفسنا: لابد من وجود فرق بين المرأة والزوج

دعنا نتابع الافتراء التالي الذي نزعم أنه من عند أنفسنا: **إننا نعتقد أن ليس كل امرأة هي زوجة لناكحها.**

الدليل

لقد تحدث الله عن امرأة فرعون ولم يتحدث عنها على أنها زوجته، فلا يوجد ذكر لمرأة فرعون على أنها زوجته:

- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١﴾ [التحريم: 11]

وتحدث القرآن الكريم عن امرأة نوح وامرأة لوط أكثر من مرة، ولم يرد ذكر أي منهما على أنها زوجة:

- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠﴾ [التحريم: 10]
- ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝٨١ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٨٢ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٨٣﴾ [الأعراف: 80-83]
- ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٦٠﴾ [الحجر: 59-60]
- ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٥٧﴾ [النمل: 56-57]

- ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٢﴾ [العنكبوت: 32]

أما بخصوص امرأة نوح فقد زعمنا في مقالة سابقة لنا (سفينة نوح ونظرية تكون القارات) أنها قد ماتت قبل حصول الطوفان، لذا لا يذكر القرآن الكريم أن الله قد نجّى نوح وأهله إلا امرأته كما كان الحال بالنسبة للوط بالرغم أنهما ضربا معاً كمثال للخيانة الزوجية، ولكن الله قد ذكر أنه سينجي نوح وأهله ولم ينجو ابنه، وقد زعمنا في مقالتنا تلك أن ولد نوح لم يكن من أهله، بل كان نتاج خيانة امرأة نوح.

النتيجة: لن تحشر امرأة فرعون مع فرعون لأنها كانت امرأته ولم تكن يوماً زوجته، لذا لن تكون في نفس المكان الذي يتواجد هو فيه لأنّ الحشر سيتم للأزواج فقط، وبنفس المنطق فإن امرأة لوط لن تحشر معه كما لن تحشر امرأة نوح مع نوح لسبب بسيط – في رأينا – وهو أنهما لم يكونا أزواجا لهما، فلن يحشر مع الشخص إلا زوجه. وسيتم التزاوج بين النفوس في يوم الحشر قبل أن يبدأ الحساب:

- ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧﴾ [التكوير: 7]

وبالعطف على ما سبق، فإننا نقول أن **أنفس** أولئك النساء لن تزوج مع من كانت برفقته في الدنيا لأنها ببساطة لم تكن أزواجا لهم، فامرأة الرجل ستحشر معه وستزوج له يوم القيامة **إن كانت زوجه** (وليس فقط امرأته).

ولكن بالمقابل فإن نساء النبي قد كن أزواجه:

- ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾ [الأحزاب: 6]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ [الأحزاب: 53]

فالحشر ودخول الجنة لا يكون إلا مع الأزواج، مصداقاً لقوله تعالى:

- ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦﴾ [يس: 56]

بالضبط كما الدخول في النار لا يكون إلا مع الأزواج:

- ﴿۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾ [الصافات: 22-23]

النتيجة: لا تدخل النفوس الجنة أو النار إلا بعد التزويج

مصداقاً لقوله تعالى:

- ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧﴾ [التكوير: 7]

ما قصة الحور العين؟

لعلنا ندرك جميعاً الحقيقة القرآنية التي ربما يصعب المجادلة فيها وهي وجود الحور العين كجزء من نعيم أهل الجنة، وقد أكد القرآن الكريم حصول التزاوج بين من يدخل الجنة من المؤمنين والحور العين:

- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥﴾ [الدخان: 51-55]
- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ١٨ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠﴾ [الطور: 17-20]
- ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة: 25]
- ﴿۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران: 15]
- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ [النساء: 57]

فالحور العين – لا شك – جزء لا يتجزأ من نعيم الجنة:

- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ٢١ وَحُورٌ عِينٌ ٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٢٤﴾ [الواقعة: 10-24]
- ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٤ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ٤٧ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ٤٩﴾ [الصافات: 40-49]

وقد أعد الله تلك المتعة لمن يدخل الجنة من المؤمنين على وجه التحديد:

- ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٥ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ٥٦﴾ [الرحمن: 54-56]
- ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ٧٤﴾ [الرحمن: 72-74]

وهنا يبرز التساؤل التالي: إذا كان الناس يدخلون الجنة مع أزواجهم فما قصة الحور العين هذه؟ وكيف سيتم التمتع بالحور العين بوجود الأزواج؟

لقد أربك مثل هذا السؤال الفكر لقرون، ولا أخال أننا حتى اللحظة قد وصلنا إلى إجابات مقنعة، فلب الفهم عند العامة وأهل العلم لا يتجاوز تفسير غيبيات بغيبيات، لذا فإننا سنحاول أن نقدم قراءتنا التي (وإن لم تصح) تختلف بشكل جذري عن ما هو مألوف، ونترك للقارئ الكريم مهمة المفاضلة بين ما قالوا هم وما نزعم نحن.

التمتع بالحور العين في الجنة: تصوّر جديد

سنقدم في هذا الجزء من المقالة تصورنا لحياة الأزواج في الجنة بوجود الحور العين، محاولين الإجابة على التساؤل الذي انطلقنا منه في بداية هذا البحث وهو: كيف سيتم التمتع بالحور العين في الجنة بوجود الأزواج؟

إننا نظن أن الوصول إلى إجابة لهذا التساؤل تحتاج إلى طرح أسئلة كثيرة، وإعادة التفكير في كثير من القضايا التي قد تكون ذات صلة بالموضوع؟

التساؤل الأول: لنبدأ بطرح تساؤلنا الأول بعد قراءة الآيات الكريمة التالية:

- ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف: 31]
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحج: 23]
- ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: 33]
- ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: 21]

ألا تصور هذه الآيات الكريمة حياة الناس في الجنة؟ بلى، ولكن ما الذي تريد قوله؟

السؤال: لماذا سيحلى الرجال في الجنة بالأساور من الذهب والفضة واللؤلؤ؟ ولماذا سيلبسون الثياب من الحرير والسندس والإستبرق؟ هل من المتعة للرجل أن يلبس مثل ذلك في الجنة (أو في غيرها)؟ ومتى كان الرجال يبحثون (أو يجدون) المتعة في هذه الأشياء؟ هل من غريزة الرجل حب كل تلك الزركشة؟!

سيرد الكثيرون على الفور بالقول بأن تلك هي الجنة وحياتها تختلف عن حياة الدنيا، ولا يجب أن تقارن تلك الحياة الأخرى بحياتنا الدنيا، فالطقوس والعادات والنواميس والطبائع ستكون مختلفة!

فنقول: دعنا نوافقكم الرأي، ولكن ألا ترون أنكم بقولكم هذا تروجون لفكرة بسيطة جداً وهي أن تغيّراً ما سيطرأ على الإنسان (الرجل) لدرجة أن يصبح من المتعة عنده مثلاً أن يلبس الحرير والأساور ويتمتع بالذهب والفضة واللؤلؤ، الخ؟ هل هذا منطق مقبول – يا سادة؟

ربما يتقبله القليل من الناس، ولكن دعنا نطارد تبعات هذا الظن لنرى ما ستؤول إليه الأمور بعد ذلك.

التساؤل الثاني: عند تفقد السياقات القرآنية التي تتحدث عن الأزواج، وجدنا الآية الكريمة التالية:

- ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾﴾ [الواقعة: 4-9]

ولو أمعنا التفكر في هذه الآية القرآنية لربما وصلنا إلى سؤال قد يسبب إرباكاً أكثر من سابقيه، والسؤال هو: ما قصة الأزواج الثلاثة؟ وكيف كنّا أزواجا ثلاثة؟

وهنا قد يبادرنا البعض بالقول دعنا ندرس الآيات في سياقها الأوسع، ظانين أن الأزواج الثلاثة تخص ما جاء بعد هذه الآية الكريمة مباشرة وهم (1) أصحاب الميمنة (2) أصحاب المشأمة و (3) السابقون السابقون:

- ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾﴾
- ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾

- وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩
- وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠
- أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١
- فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ [الواقعة: 7-12]

فنرد بالقول: إن كان هذا هو الحال، فمن هم المقربون الذين سيكون مآلهم جنات النعيم (انظر الآيات 11-12)؟ أو بكلمات أكثر دقة، من هم الذين يعود عليهم الضمير " أُولَئِكَ" في الآية 11؟ هل تعود على هذه المجموعات الثلاثة؟

الجواب: يستحيل ذلك، لأن من غير الممكن أن يكون أصحاب المشأمة من المقربين في جنات ونعيم؟

رأينا: لو كانت الأزواج الثلاثة يقصد بها المجموعات الثلاثة التي ذكرت بعد الآية الكريمة (وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ)، لكان ضمير الإشارة أُوْلَٰٓئِكَ يعود عليهم جميعاً. تدبر الآيات جميعاً في سياقها. لذا فإننا نرى أن الأزواج الثلاثة التي جاءت في الآية رقم (7) لا يقصد بها المجموعات الثلاثة التي ورد ذكرها في الآيات (8) و(9) و(10). أما دليلنا الثاني الذي يمكن أن نستخدمه لنثبت زعمنا بأن الأزواج الثلاثة ليست المجموعات الثلاثة التي ذكرت بعدها فيأتي من دراسة مفردة الزوج في القرآن الكريم: فما معنى الزوج في السياق القرآني؟

لا شك لدينا أن الزوج تعني الشخص الواحد، فالرجل زوج والمرأة زوج، وهما معاً يصبحان زوجين اثنين، فالله سبحانه يقول:

- ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥﴾ [النجم: 45]

فالذكر والأنثى معاً هما زوجان (وليس زوجاً واحد)، لأنّ الذكر لوحده دون الأنثى هو زوج واحد:

- ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة: 1]
- ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٢٣٠﴾ [البقرة: 230]

والأنثى لوحدها دون الذكر هي زوج:

- ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: 90]

فالحياة على الأرض نشأت على فكرة الزوجين الاثنين:

- ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: 48-49]
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: 36-39]
- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد: 3]

ولو تدبرنا الآية جيداً لوجدنا أنّ علاقة الذكر بالأنثى كعلاقة الليل بالنهار، فالليل يغشى النهار، بالضبط كالعلاقة الحميمة بين الرجل وزوجته:

- ﴿۞ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف: 189]

وقد طلب الله من نوح أن يحمل في السفينة من كل زوجين اثنين:

- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: 40]
- ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [المؤمنون: 27]

والآن لنتدبر قول الحق بخصوص خلق الأنعام، فالله خلق لنا من الأنعام ثمانية أزواج وفصلها على النحو التالي:

- ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام: 143-144]

فبالرغم أنها أربعة مجموعات (الضأن والمعز والإبل والبقر) إلا أنها ثمانية أزواج، فهناك في كل مجموعة زوجان، فتصبح النتيجة 4 × 2 = 8.

وبالمقارنة: لو كانت أزواجاً ثلاثة يقصد بها المجموعات الثلاثة التي جاءت بعدها (أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون السابقون)، لكان النص القرآني قد جاء على شكل (وكنتم أزواجاً **ستة**)، أي:

$6 = 2 \times 3$

فهناك زوجان من أصحاب الميمنة (الرجل وزوجته)، وزوجان من أصحاب المشأمة (الرجل وزوجته)، وزوجان من السابقون السابقون، فيصبح المجموع ستة أزواج، وليس أزواجاً ثلاثة.

فمن هم الأزواج الثلاثة إذاً؟

إننا نعتقد أن أزواج ثلاثة في سياقها القرآني تعني ثلاثة أفراد، ولننتظر قليلاً لنرى المشهد في النار كما تصوره بعض آيات القرآن الحكيم:

- ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥
- جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦
- هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ٥٧
- وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ٥٨
- هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ٥٩
- قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٦٠
- قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ٦١
- وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ٦٢
- أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣
- إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ٦٤﴾ [ص: 55-64]

لتستوقفنا الآية رقم (58) لنطرح من خلالها السؤال التالي: من هو هذا الآخر الذي من شكله أزواج؟

مفارقات وافتراءات

المفارقة الأولى: الحياة في الجنة ليست مبنية على فكرة زوجين اثنين وإنما على فكرة أزواج ثلاثة:

- ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ٧﴾ [الواقعة: 7]

المفارقة الثانية: الحياة في النار زوجين أثنين:

- ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ٥٨ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ٥٩﴾ [ص: 56-59]

المفارقة الثالثة: الحياة على الأعراف تكون زوجاً واحد (وهو الرجل)، فلا نساء على الأعراف:

- ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأعراف: 46]

فهناك أصحاب للأعراف (ولكن ليس هناك صاحبات للأعراف)

- ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأعراف: 48]

النتيجة: الحساب للرجل، وأما النساء، فهن في صحبة أزوجهن (إن كانت زوجته وليس فقط امرأة له): فإن كان في الجنة فهي كذلك في الجنة، وإن كان في النار فهي كذلك في النار، ولكنها لا تبقى على الأعراف، فليس هناك على الأعراف إلا رجال.

وأين القرين؟

أما قرين أهل النار فهو معهم في النار:

- ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: 57-58]

فالآخر (وهو في رأينا القرين) يكون من شكله (إي الذي كان قرين له في الدنيا من الناس) أزواج في النار (أي زوجين اثنين).

وكذلك فإن قرين أهل الجنة فهو في النار:

- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: 40-57]

حياة أهل الجنة: أزواج ثلاثة

من هم الأزواج الثلاثة في الجنة؟

افتراء خطير جداً جداً: إنهم الرجل (زوجاً) والمرأة (زوجاً) والحور العين (زوجاً ثالثاً)، فيصبح المجموع أزواجاً ثلاثة.

كيف سيتمتع الأزواج الثلاثة في الجنة؟ أو كيف سيتمتع أهل الجنة بالحور العين؟

جواب: لا شك أننا ندرك الفصل بين الحور العين من جهة والرجل وزوجته من جهة أخرى، فهناك سياقات قرآنية تتحدث عن دخول الرجل وزوجه الجنة والتمتع بما في الجنة من نعيم:

- ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣﴾ [الرعد: 23]

> لاحظ كيف يفصل القرآن الكريم بين الأزواج من جهة ومن صلح من الأزواج من جهة أخرى، فالأزواج تكون للمؤمن وللكافر، فزوجة المؤمن هي زوجه وزوجة الكافر هي زوجه، ولكن من صلح من الأزواج فهي لا شك زوجة للمؤمن فقط، ومن لم تصلح من الأزواج تكون امرأة له وليست زوجه.

- ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦﴾ [يس: 56]

وهناك سياقات أخرى تتحدث عن تزاوج أهل الجنة مع الحور العين:

- ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤﴾ [الدخان: 54]

وهنا لا بد من طرح التساؤل الذي انطلقنا منه في بداية هذا البحث وهو: كيف سيتمتع أهل الجنة بالحور العين بوجود من دخل مع المؤمنين من أزواجهم؟

لقد درج جلّ (إن لم يكن كل) الفكر الإسلامي على الافتراض بأن الحور العين هي من نصيب الرجال في الجنة، وغالباً ما تجنبوا (عن قصد أو عن غير قصد، أو ربما عن عدم دراية بالحقيقة) الخوض عن حصة النساء في الجنة، وغالباً ما غلّفوا مثل هذه الأفهام بغيبيات يصعب على العامة من مثلي تصديقها أو إنكارها. وتجنب الناس الخوض في هذا الأمر ربما بسبب الحرج الذي يمكن أن يسببه الحديث فيه لهم.

رأينا: نحن نظن أن الخطأ الذي وقع العلماء فيه (فأشكل على الناس فهم الحقائق) يتمثل في فهمم أن التزاوج في الجنة يحصل بين الرجل والحور العين، وهنا نجد لزاماً أن نبرز فكرة غاية في الأهمية (ربما تميّز تخريصنا هذا عن علمهم السابق) وهو **أن التزاوج في الجنة يحصل بين الأزواج من جهة (الرجل وزوجته) والحور العين من جهة أخرى**. وليس كما ظن معظم أهل العلم بأن التزاوج مع الحور العين يحصل بين الرجل والحور العين.

الدليل: يتحدث القرآن الكريم عن عمليتين من التزاوج، واحدة ستحصل بين الأزواج (من أهل الدنيا) قبل دخول الجنة أو النار، فتلك ستحصل في يوم العرض الأكبر قبل نشر الصحف:

- ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ [التكوير: 1-14]

وهناك تزاوج آخر سيحصل يوم أن يستقر الأزواج في الجنة على الأرائك يلبسون السندس والإستبرق والأساور ويأكلون من خيرات الجنة:

- ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧﴾ [يس: 55-57]

وتكون تلك العملية بين من يدخل الجنة ويستقر على تلك الأرائك والحور العين:

- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤﴾ [الدخان: 51-54]
- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ١٨ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠﴾ [الطور: 17-20]

نعم، يحدث التزاوج للأزواج وهم متكئين على الأرائك مع الحور العين، وهم يلبسون السندس والإستبرق، وهم يأكلون ويشربون من خيرات الجنة.

وهنا سيرد الجميع بالقول: إن صح كلامك هذا، فكيف سيتم التمتع بالحور العين إذاً؟

الجواب: ربما نحتاج إلى فهم السياقات القرآنية التالية قبل الإجابة على هذا التساؤل الكبير. قال تعالى عن الأزواج في الجنة أنهم يحبرون:

- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٣﴾ [الزخرف: 69-73]

وتأكد هذا المعنى في سياق قرآني آخر:

- ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥﴾ [الروم: 14-15]

ويتأكد لنا من السياق القرآني نفسه أن عملية الحبر (تُحۡبَرُونَ ، يُحۡبَرُونَ) ستحصل بعد أن يتفرق الناس يوم تقوم الساعة (وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ). ويتأكد لنا من السياق الثاني أن هذه العملية ستتم بين الأزواج بعد أن يدخلوا الجنة:

- ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾ [الزخرف: 70]

لنخلص إلى النتائج التالية:

1. يوم تقوم الساعة سيتحصل عملية تفرق، فبالإضافة إلى التفرقة التي ستتم بين المؤمنين من جهة والكافرين من جهة أخرى، سيكون هناك تفرقه بين الرجل وامرأته، وقد وردت هذه التفرقة في السياق القرآني التالي:

- ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾ [البقرة: 102]

ونحن نفهم أن هذه التفرقة بين الرجل وامرأته في يوم القيامة هي بالضبط كالتفرقة التي ستحصل بين فرعون وامرأته أو بين نوح ولوط من جهة وامرأتيهما من جهة أخرى. فالمرأة لا تصاحب من كان ينكحها في الدنيا مادامت أنها امرأته وليست زوجته، فقد ينتهي به (أي الرجل) الأمر في الجنة أو في النار أو على الأعراف، ولكنّها لن تصاحبه إلى المكان الذي سينتهي المطاف به إليه إن كانت هي امرأته وليست زوجته مصداقاً لقوله تعالى:

- ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥﴾ [الروم: 14-15]

2. حصول التزاوج بين النفوس: فلا يحصل تزاوج إلا بين الأزواج، فالزوجة لاشك مصاحبة زوجها أين ما ذهب سواءً إلى جنة أو إلى نار (إن كانت زوجته ولم تكن فقط امرأته)
3. حصول الحبر (تُحۡبَرُونَ ، يُحۡبَرُونَ) بعد التفرقة، ولا يحصل الحبر إلا بين الأزواج، فالمدقق في السياق القرآني يجد هذا المعنى جلياً:

- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾ [الزخرف: 69-70]

فالآية الكريمة تؤكد حصول الحبر للرجال وأزواجهم (أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ) بعد دخول الجنة. لنصل إلى نتيجة مفادها أن هناك عملية ما (تسمى الحبر) ستحصل للأزواج، فما سيحصل للرجل سيحصل لزوجته والعكس صحيح).

وقد تعرضنا في ما سبق إلى التزاوج وزعمنا الفهم أن التزاوج سيحصل على مرحلتين وهما:

أ. التزاوج قبل دخول الجنة بين الرجل وزوجه:

- ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾ [التكوير: 5-7]

ب. التزاوج بعد دخول الجنة:

- ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ۝٥٤﴾ [الدخان: 54]

وقد ورد ذكر الحبر (يحبرون وتحبرون) في القرآن الكريم مرتين:

- ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ۝١٥﴾ [الروم: 14-15]
- ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ۝٧٠﴾ [الزخرف: 70]

فهنا لا نجد مناص من طرح التساؤل التالي: ما هي تلك العملية (الحبر: تُحۡبَرُونَ ، يُحۡبَرُونَ) التي ستحصل للرجل وللمرأة على حد سواء عند دخولهم الجنة (أو في داخل الجنة)؟

السؤال: كيف سيحبر من يدخل الجنة هم وأزواجهم (ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ)؟

إننا نظن أن مفردتي (تُحۡبَرُونَ ، يُحۡبَرُونَ) كعملية ستحصل للرجل وزوجته في الجنة لها علاقة بالقضية الجنسية الفيزيائية، ولكن ما الدليل على ذلك؟

الدليل: إننا نظن أن_فكرة الأحبار في التراث اليهودي والرهبان في التراث المسيحي قد جاءت من هذا الباب، فمن هم الأحبار والرهبان؟ من هو الحبر؟ ومن هو الراهب؟

لندرس السياق القرآني التالي:

- ﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَۖ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٢٧﴾ [الحديد: 27]

إن المدقق في السياق القرآني يجد أن الله سبحانه وتعالى يتحدث عن ثلاثة أشياء وهي الرأفة والرحمة والرهبانية، أليس كذلك؟ وهنا نطرح السؤال هل الرهبانية من الله؟ الجواب كلا، فالله يقول أنه قد جعل في قلوب الذين اتبعوا عيسى بن مريم رأفة ورحمة، فهل يعقل أن يكون قد جعل في قلوبهم رهبانية؟

لا يمكن أن تكون الرهبانية في القلوب، فالرهبانية عمل، والدليل على ذلك أن تلك الرهبانية قد ابتدعوها، وما دام أنهم ابتدعوها فهي ليست من الله، لذا فإننا نظن بوجوب الوقف بعد مفردة وَرَحْمَةً ، لتقرأ الآية على جزأين كما يلي:

- ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً (وقف) وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد: 27]

ولا شك أن الأحبار والرهبان ليسوا دائماً أهل تقوى وإيمان، بل قد يكون أداة استغلال للناس بسبب ما يظهر من أفعالهم:

- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: 34]

فبالإضافة إلى الرهبان هناك في المسيحية القسيسين:

- ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة: 82]

إذاً هناك الرهبان وهناك القسيسين عند أهل الديانة المسيحية، ولو حاولنا نقل الحديث إلى أهل الديانة اليهودية لوجدنا الآية الكريمة التالي التي تتحدث عن الربانيون والأحبار:

- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: 44]
- ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: 63]

فتصبح المقارنة بين الديانتين على النحو التالي:

المسيحية	اليهودية
قسيسين رهبان	ربانيون أحبار

فمن هم الأحبار (عند اليهود) والرهبان (عند المسيحيين)؟
لو دققنا في الآية الكريمة التالية، لوجدنا شيئاً عجبا وهو ورود فكرة الرهبان والأحبار مع عيسى بن مريم:

- ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة: 31]

لنطرح **التساؤل التالي**: لماذا اتخذ اليهود الأحبار واتخذ النصارى الرهبان آلهة كما اتخذوا عيسى بن مريم آلهة؟

رأينا: إن أهم الميزات التي جعلت أهل الديانة المسيحية يروجون لاتخاذ عيسى بن مريم إلهاً هو **العذرية**.
فقد ساد في الفكر الديني الذي سبق الإسلام فكرة الرهبانية في الفكر المسيحي (ولنقل التحبير) في الفكر الديني اليهودي، وتتمثل الفكرة في نبذ بعض من يكرسون أنفسهم لخدمة الدين لفكرة العلاقة الزوجية (أو الشهوة الجنسية Lust). فمن أهم ميزات الحبر أو الراهب هي الانعزال عن المعاشرة الجسدية الجنسية. فهم لا ينكرون فكرة الحب، ولكنهم – على الأقل نظرياً – لا يمارسون التزاوج الجنسي البدني.

وبهذا نفهم – كاذبين – أن الأزواج في الجنة يحبرون حتى يترفعون عن المعاشرة الجنسية البدنية (التي نمارسها في الحياة الدنيا).

فمعاشرة المرأة في الحياة الدنيا يكون بالمس:

- ﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧﴾ [آل عمران: 47]
- ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠﴾ [مريم: 20]
- ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦﴾ [البقرة: 236]

- ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة: 237]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [الأحزاب: 49]

وباللمس:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: 43]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: 6]

وبالرفث:

- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: 187]
- ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: 197]

ونحن نظن أن جماع المرأة الذي يمكن أن ينتج عنه الذرية الناتج عن التزاوج الشرعي هو (مس: يَمۡسَسۡنِي ، تَمَسُّوهُنَّ)، بينما جماع المرأة بالنكاح (الطريقة الشرعية) أو بغيره (غير شرعية) هو لمس (لَٰمَسۡتُمُ)، ومداعبة المرأة بالجماع وبغيره هو رفث (رَفَثَ ، ٱلرَّفَثُ).

النتيجة: يخلو القرآن الكريم من الحديث عن هذه الطرق جميعاً في علاقة الأزواج في الجنة، فلا نجد أن هناك مس للنساء ولا لمس للنساء ولا رفث مع النساء (أو مع الحور العين) وجل ما نجد هو <u>الطمث</u>

- ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ۝٥٦﴾ [الرحمن: 56]
- ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ۝٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٣ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ۝٧٤﴾ [الرحمن: 72-74]

فنحن ننتظر أن نفهم كيف ستكون آلية الطمث تلك؟

رأينا: نحن نظن أن الطمث هو عبارة عن علاقة جنسية تشاركية ثلاثية الأبعاد. فالرجل يستطيع أن يلبي شهوته الجنسية لوحده (علاقة فردية)، ولكنها لا تصل لدرجة المتعة التي يتحصل عليها عندما يلبي رغبته الجنسية مع امرأة (علاقة ثنائية)، وتخيل كيف ستصبح حجم المتعة الجنسية عندما تكون ثلاثية الأبعاد (الرجل والمرأة والحور العين):

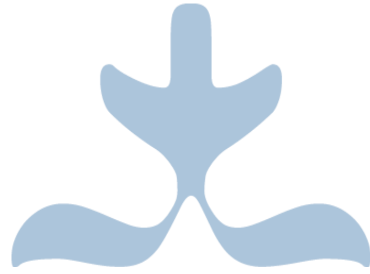
- ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧﴾ [الواقعة: 7]

إن ما نبغي قوله أن العلاقة الجنسية (الطمث) في الجنان لا يمكن أن تتم إلا بتوافر الأزواج الثلاثة معاً، فلن يستطيع الزوج أن يخون زوجته، ولن تستطيع الزوجة أن تخون زوجها، ولن يستطيع الحور العين أن يخن أزواجهن، لأن مبدأ الطمث في إقامة تلك العلاقة الحميمة سيكون مبني على مبدأ الأبعاد الثلاث (أي أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ).

والله أعلم

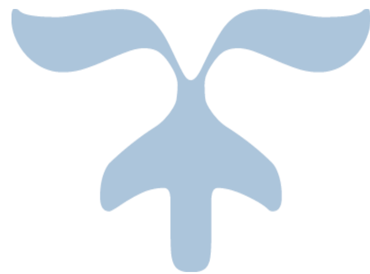
وللحديث بقية بحول الله وتوفيقه

26 كانون ثاني 2012



ماذا ستفعل النساء في الجنة؟

(الجزء الثاني)



ماذا ستفعل النساء في الجنة (2)؟

خلصنا في الجزء الأول من هذه المقالة إلى مجموعة من الافتراءات ذات العلاقة بالتزاوج، فكان منها ما هو متعلق بالحياة الدنيا، وكان منها ما هو متعلق بالحياة الأخرى. أما ما يتعلق بالحياة الدنيا، فنذكر منها:

- مفردة الزوج تدل على شخص واحد

- ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: 35]

- الحياة في الدنيا مبنية على الزوجية الثنائية (أي الزوجين):

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد: 3]
- ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: 49]

- حتى الليل والنهار زوجين (فالنهار زوج والليل زوج)، والعلاقة بينهما الغشي كما العلاقة بين الذكر والأنثى:

- ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف: 189]

- التزاوج يكون بين الذكر والأنثى

- ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [النجم: 45]

وأما ما هو متعلق بالحياة الأخرى، فنذكر منها:

- قبل الحساب يتم التزاوج:

- ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ [التكوير: 5-7]

- الدخول في النار يكون بالتزاوج (والقرين في النار)
- الدخول في الجنة يكون بالتزاوج (والقرين في النار)

- ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ۝٥٦ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ۝٥٧﴾ [الصافات: 50-57]

- بعد الدخول في الجنة يصبح هناك تحبير

- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ۝٧٠﴾ [الزخرف: 69-70]

- يكون التحبير بذهاب الأعضاء التناسلية
- الأزواج في الجنة مطهرة، لذا لا حيض:

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾ [النساء: 57]

- يتنعم الأزواج كلهم بالأساور والحلي، ويلبسون الثياب من السندس والاستبرق، ويصبح ذلك مقبولا للزوجين:

- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ۝٣١﴾ [الكهف: 31]
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ۝٢٣﴾ [الحج: 23]
- ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ۝٣٣﴾ [فاطر: 33]
- ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ۝٢١﴾ [الإنسان: 21]

- يحصل بعد ذلك تزاوج داخل الجنة (في الروضة) بين الزوجين من جهة والحور العين من جهة أخرى

- ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ۝٥٤﴾ [الدخان: 54]
- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ۝١٥﴾ [الروم: 15]

- فيصبح هناك أزواجا ثلاثة (الزوجين + الحور = أزواجا ثلاثة).

- ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧﴾ [الواقعة: 7]

- تكون العلاقة بين الأزواج الثلاثة ليست علاقة جنسية بالمفهوم الدنيوي وإنما علاقة حميمية بالمفهوم الأخروي. وهذا ما سنحاول الخوض فيه في هذا الجزء من المقالة
- الخ

أما بعد

السؤال الرئيس هو: ما هي (هو) الحور العين؟

رأينا المفترى: للإجابة على هذا السؤال، نجد لزاما (كالعادة) .أن نبحر عكس التيار، فلن نحاول إذا أن نتبنى أيّا من الأفكار السائدة أو حتى محاولة تهذيب بعضها لتتلاءم مع تصوراتنا للقضية قيد البحث. ولكننا سننطلق باتجاه معاكس تماما. فإذا كانت تلك الأفهام قد سارت كلها غربا باتجاه العملية الجنسية المعروفة، فإننا سننطلق شرقا حيث لا جنس فيها ولا ما يمكن أن يشبهه. فليس للحور العين – نحن نفتري الظن من عند أنفسنا (ربما مخطئين) – علاقة بالعملية الجنسية بين الذكر والأنثى المعروفة في الحياة الدنيا. لكن قبل أن نقدم تفصيل رأينا هذا، دعنا نقدم لكم ابتداء الكيفية التي نسلكها بالتجديف عكس التيار. وذلك بتقديم مثال نوضح من خلاله الحاجة إلى مثل هذه الجرأة في معاكسة الرأي السائد، والمثال الذي سنقدمه للتدليل على موقفنا في معاكسة التيار السائد يأتي من التطبيق العملي لواحدة من الشعائر التي يقوم بها المسلم في الصلاة، وهي شعيرة التيمم.

لنطرح **التساؤل** التالي: ما هو التيمم؟
رأينا: عندما يراجع أحد منا ما جاءنا من عند أهل العلم عن الآيات الكريمة التالية:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾ [النساء: 43]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: 6]

سيجد على الفور بأن التطبيق العملي لهذه الشعيرة يكون على نحو ما جاءنا في شروحات هذه الآيات الكريمة في بطون أمهات كتب التفسير، وعلى ألسنة أهل الدراية والرواية من أهل العلم، وملخص ذلك كله هو

أن يقصد المصلي (في حالة التعذر للوصول إلى الماء) إلى لمس التراب الطاهر، فيمسح بيدية وبوجهه منه، أليس كذلك؟

نتيجة مهمة: يكون التيمم – كما يعرفه المسلمون أجمعون - على نحو أن بضرب الشخص المتيمم الكفين بالتراب، ومن ثم يمسح اليدين والوجه به.

لكن دعنا نتوقف هنا لنطرح التساؤل التالي: هل هكذا هو التيمم فعلا؟ وبكلمات أخرى نحن نسأل: هل فعلا يكون التيمم بمس التراب ومسح اليدين والوجه به كما يطبقه عامة المسلمين في حالة عدم الوصول إلى الماء؟

رأينا المفترى: كلا، وألف كلا.
السؤال: ما هو التيمم إذا؟ يسأل صاحبنا مستغربا.
رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن (ربما مخطئين) بأن التيمم هو تماما عكس ما يطبّقه المسلمون، وذلك لأنه يتم (نحن نفتري الظن) بنفض (إزالة) التراب المتواجد على اليدين والوجهين، وكفى.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نعتقد جازمين بأن التيمم هو إزالة طبقة التراب الخفيفة الموجودة على اليدين والكفين، وذلك بنفض الغبار المتواجد عليهما من ذي قبل، وليس بمسحهما به. وبكلمات بسيطة إنه فعل إزالة وليس فعل اكساب.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن بأن كل ما يحتاجه المتيمم (الذي لم يجد الماء) هو نفض الغبار المتواجد على الوجه واليدين دون الحاجة لمسحهما بالتراب بعد ضربه باليدين كما هي العادة عندهم

الدليل
لو تفقدنا النص القرآني على مساحته، لوجدنا أن مفردة التيمم قد وردت في الآيات الكريمة التالية، الخاصة بفعل الصلاة:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: 43]
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ

وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ [المائدة: 6]

كما نجدها قد وردت في الآية الكريمة التالية الخاصة بفعل الإنفاق:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ [البقرة: 267]

لنطرح على الفور العلاقة بين التيمم للصلاة في حالة تعذر الوصول للماء مع التيمم في الإنفاق. فتكون التساؤلات الأولية التي يجب طرحها على الفور هي:

⇐ ما هي كيفية التيمم في الصلاة؟
⇐ ما هي كيفية التيمم في الإنفاق؟
⇐ لماذا جاء الأمر الإلهي بالتيمم في حالة تعذر الوصول إلى الماء؟
⇐ لماذا جاء النهي الإلهي بأن لا نتيمم الخبيث عند الإنفاق؟
⇐ ما هو التيمم أصلاً؟
⇐ الخ.

جواب مفترى: لا شك – عندنا – بأن المنفق عندما يتيمم الخبيث لينفقه من ماله، فهو يعمد إلى فصل ما هو سيء (خبيث) عمّا هو طيب. ويكون دافعه في ذلك هو لينفق من الخبيث بدلا من الإنفاق من الطيب. فالتيمم إذا يحمل في ثناياه التخلص مما هو سيء من بين ما هو طيب.

نتيجة مفتراة 1: نحن نظن أن التيمم يحمل في ثناياه الفصل بين ما هو خبيث عما هو طيب

السؤال: كيف يمكن أن نطبق مثل هذا الفهم في حالة التيمم للصلاة (أي عند تعذر الوصول للماء)؟
رأينا المفترى: نحن نعلم أننا نستخدم الماء لإزالة ما علق بأعضاء الوضوء في حالة اسباغ الماء عليها. لذا، فالماء يقوم بإزالة تلك الطبقة الخفيفة العالقة بأعضاء الوضوء. (للتفصيل أكثر حول هذه الجزئية ندعو القارئ الكريم – إن شاء – العودة إلى سلسلة مقالاتنا: لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟)

السؤال: ما الذي نفعله في حالة التعذر للوصول للماء؟
الجواب: التيمم
السؤال: ما هو التيمم؟
الجواب: إزالة تلك الطبقة الخفيفة العالقة بأعضاء الوضوء، وكفى.

نتيجة مفتراة: إذا نحن مطالبين أن ننفض الغبار العالق بأعضاء الوضوء في حالة تعذر إزالته بالماء.

نتيجة مفتراة خطيرة جدا (لا نطلب من الناس الأخذ بها ما لم يكن مقتنعا بها): التيمم هو نفض الغبار عن اليدين والوجه فقط.

ما أهمية هذا الكلام: إنها الصورة المعاكسة تماما لما قاله لنا أهل العلم، فبدل من وضع طبقة خفيفة من التراب على الوجه والكفين بالتيمم كما وردنا من عند أهل العلم، نحن نفهم أن التيمم هو العمل على إزالة تلك الطبقة (مهما كان حجمها) دون الحاجة إلى مس التراب اطلاقا، بل بنفضه عن الوجه واليدين فقط. فإذا ما كنت متواجدا في مكان لا ماء فيه، وأردت التيمم، فكل ما عليك فعله هو أن تنفض التراب العالق على الوجه واليدين دون مس التراب ابدا. أليست تلك صورة معاكسة تماما لما ألفينا عليه آباءنا؟ من يدري؟!

إذن، من أراد أن يتقدم معنا في النقاش عن الحور العين، عليه أن يجدّف بعيدا عمّا ألفى عليه آباءه الأولين، فلربما يسمع كلاما لم يعهده في الملة الآخرة.

أما بعد،

دعنا نبدأ النقاش في قضية الحور العين بالتساؤلات المثيرة التالية، التي ربما تبدو للوهلة الأولى غير ذات صلة بالموضوع قيد البحث:

- لماذا كان آدم هو أب للخلق البشري جميعا؟
- لماذا لا نجد في كتاب الله اسم زوج آدم؟
- لماذا سجدت الملائكة لآدم ولم تسجد لزوجه؟
- لماذا علّم الله آدم الأسماء كلها؟
- هل علم الله زوج آدم تلك الأسماء؟
- الخ.

السؤال الأول: لماذا آدم؟

لو تفقدنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا بأن الله قد خلقنا جميعا، ثم صورنا جميعا، ثم طلب من الملائكة السجود لآدم:

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝١١﴾ [الأعراف: 11]

لذا، فإن خلقنا جميعا، وتصويرنا جميعا قد جاءا سابقين لسجود الملائكة لآدم. (للتفصيل حول هذه القضية، انظر عزيزي القارئ – إن شئت – مقالاتنا السابقة حول هذا الموضوع في أكثر من مكان)

والآن، إذا ما سلمنا بمثل هذا الافتراء (بأن خلقنا وتصويرنا قد جاء سابقين لسجود الملائكة لآدم)، سيكون **السؤال** التالي المطروح على الفور هو: لماذا كان آدم - على وجه التحديد - هو من طلب الله من الملائكة السجود له؟ فلماذا – نحن نسأل – لم يكن نوح أو إبراهيم أو موسى أو عيسى أم حتى محمد هو من طلب الله من الملائكة السجود له؟ ولم لم أكن أنا أو أنت هو من طلب الله من الملائكة السجود له؟ وهل لو كنت أنا أو أنت هو المسجود له من قِبَل الملائكة، هل كانت النتيجة ستختلف عما كانت عليه في حالة آدم؟ من يدري؟!!

رأينا المفترى: نحن نظن بأن الإجابة على هذه التساؤلات تكمن – برأينا- في كلمة واحدة، ألا وهي مفردة الاصطفاء. قال تعالى:

- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ [آل عمران: 33]

نتيجة مفتراة: كان أول من وقع عليه الاصطفاء الإلهي هو آدم

السؤال: إذا كان آدم هو أول من وقع عليه الاصطفاء الإلهي، فيبقى السؤال ذاته قائما، ألا وهو: لماذا وقع الاصطفاء الإلهي على آدم؟ لم لم يكن ذلك الاصطفاء من نصيب شخص نخر غير آدم؟ فهل كان ذلك قرارا إلهيا حتميا كان من المستحيل تغييره؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن الاصطفاء لا يكون اختيارا، فهناك فرق في النص القرآني بين الاصطفاء من جهة والاختيار من جهة أخرى. ولو دققنا في قصة موسى، لوجدنا بأنه الرسول الوحيد الذي وقع عليه الاصطفاء كما وقع عليه الاختيار. قال تعالى:

- ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ [طه: 13]
- ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف: 144]

لو تفقدنا مثل هذه السياقات القرآنية، لوجب علينا أن نطرح التساؤلات التالية:

⇐ ما معنى الاصطفاء؟
⇐ ما معنى الاختيار؟
⇐ ما الفرق بين الاصطفاء والاختيار؟
⇐ لماذا تم الاختيار والاصطفاء لموسى عل وجه التحديد؟
⇐ الخ

ومحرك هذه التساؤلات جميعا هو محاولة فهمنا للقضية قيد النقاش هنا، ألا وهي: لماذا كان الاصطفاء الأول لآدم على وجه التحديد؟

أما بعد،

تحدثنا في الجزء السادس من سلسلة مقالاتنا تحت عنوان "كيف تم خلق عيسى بن مريم؟" عن الفرق بين الاصطفاء من جهة والاختيار من جهة أخرى، وسنحاول هنا اعادة الخطوط العريضة في ذلك النقاش والتي لها علاقة مباشرة بالقضية قيد النقاش هنا، لكن من أراد التفصيل، فيستطيع – إن شاء – أن يرجع إلى تلك المقالات. فكان من جملة الافتراءات الأساسية التي قدمناها حينئذ ما يلي:

أولاً، الاصطفاء يحمل في ثناياه (نحن نرى) تحولا في الوضع الراهن، فما أن يتم اصطفاء إلهي حتى يكون هناك تغير جذري في الوضع الراهن حينئذ. فعندما تم اصطفاء آدم، تغير الوضع الذي كان سائدا حينئذ، فأصبح آدم (وذريته) هو الخليفة بعد أن كانت الخلافة للجن (ومنهم الملائكة) قبل ذلك.

ثانيا، الاصطفاء يمكن أن يسبب قلقاً (وعدم الرضا) عند الغير. فما أن تم اصطفاء آدم كخليفة حتى ظهرت علامات الغيرة (والحسد) عند الغير، فالملائكة لم يرضهم تمام الرضا اصطفاء آدم بأن يكون هو الخليفة، لذا ربما تحركت عندهم أمارات "الغيرة"، وحاولوا التنفيس عنها بقولهم:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30]

وتحولت الغيرة إلى حسد واضح عند إبليس الذي رفض الانصياع للأمر الإلهي:

- ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: 12]

وهذه النتيجة المصاحبة للاصطفاء (الغيرة وربما الحسد) تكررت في مواطن أخرى، فها هم الملأ من بني إسرائيل مثلاً يحتجون على اصطفاء الله طالوت عليهم ملكا وهم الذين قد طلبوا من نبيهم أن يبعث الله عليهم ملكا من ذي قبل:

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ

ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾ [البقرة: 246-247]

ثالثاً، يمكن لمن تم اصطفاءه لمهمة ما أن يقدم نفسه لها أو أن يُقدم لها من قبل آخرين. فنحن نؤمن أن امرأت عمران – مثلا- قد قدمت ما في بطنها محررا لله

- ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران: 35]

فكانت النتيجة أن تقبل ربها ما وضعت:

- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: 37]

ونحن نؤمن أنه قد تم اصطفاء مريم من الله مباشرة مرة أخرى (انظر تكرار اللفظ في الآية الكريمة)

- ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران: 42]

نتيجة مفتراة: لقد تم اطصفاء مريم مرتين، فكانت المرة الأولى بما فعلته أمها (امرأت عمران)، لأنها هي من نذرت ما في بطنها محررا، فكان هذا الاصطفاء الأول لمريم، لكن كان هناك اصطفاء آخر لمريم بسبب مريم نفسها، فقد فعلت مريم ما يؤهلها لهذا الاصطفاء. (للتفصيل حول هذه القضية على وجه التحديد، انظر مقالاتنا السابقة، لأن الموضوع خطير جدا لا يحتمل ذكره على عجل).

رابعا: نحن نرى (ربما مخطئين) بإن من أراد أن يكون محلّ الاصطفاء، فعليه أن يقدم ما يؤهله لذلك الاصطفاء. فلو تفقدنا السياقات القرآنية التي تتحدث عن الاصطفاء الإلهي، لوجدنا بأن العلم (وميراث النبوة) كان مصاحباً على الدوام لهذا الاصطفاء. فعندما اصطفى الله آدم واحتجت الملائكة على ذلك جاء تبرير إلهي بذلك:

- ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30]

وكان ذلك على شكل علم أوكله الله لآدم ولم يكن لغيره

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة: 31]

فأقرت الملائكة له بذلك عندما شعروا أن آدم يملك من المقومات ما ليس متوافرا عندهم:

- ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ [البقرة: 32]

وعندما احتج الملأ من بني إسرائيل على طالوت أن يكون عليهم ملكا، جاء التبرير (أو الحجة) على نحو أن الله قد زاده بسطة في العلم والجسم:

- ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٤٧﴾ [البقرة: 247]

نتيجة مهمة جدا: نحن نظن أنه ما أن يتم الاصطفاء الإلهي حتى يكون هناك علم يكون من نصيب من تم اصطفاءه، وآية من آيات الله حاضرة بين يديه

(للتفصيل انظر – إن شئت – مقالاتنا السابقة).

خامسا: الاصطفاء لا يعني بالضرورة وجود منافس مواز على الدوام، بل تميز الشخص على جميع المتنافسين، فعندما جاء اصطفاء الله لآدم لم يكن هناك من استطاع منافسة (أو من هو مؤهل لينافس) آدم، ولا نظن أن هناك من كانت مؤهلة كمريم لشغل ذلك المنصب عندما تم اصطفاؤها، وهكذا.

أما الاختيار – بالمقابل- فهو يحمل في ثناياه جميع ما ذكرنا سابقا، ولكن يختلف بشيء واحد فقط، ألا وهو وجود المنافس الذي يكون لديه المؤهلات لذلك. فموسى إذا كان قد تم اصطفاؤه لأنه كان يحمل المؤهلات لذلك، ولكن كان هناك من ينافسه على ذلك الموقع الشاغر، فتم اختياره بعد أن تم اصطفاؤه. (للتفصيل انظر سلسلة مقالاتنا في قصة موسى).

نتيجة مهمة جدا: نحن نفتري الظن بأن الاصطفاء يتم – لنقل - بفوز طرف بـ "المسابقة الشريفة" التي يحق للجميع الدخول فيها، فيكون من تم اصطفاؤه هو صاحب الحق الشرعي في تلك المكانة التي وصل إليها بمؤهلات استفاد منها بالشكل الأمثل.

مثال

لتقريب الصورة إلى الأذهان، تخيل عزيزي القارئ – إن شئت – ما يتم - مثلا - في مباريات الكرة الرياضية. ألا تكون جميع الفرق مؤهلة للمنافسة في بداية الأمر؟ ألا يحق لكل فريق أن يدخل المنافسة إن وجد أنه قادر عليها ويملك مواصفات تجعله مشاركا حقيقيا فيها؟ لكن ألا تجد أنه ما أن تجري المسابقة حتى تبدأ عملية التصفية (الاصطفاء) التدريجية، فيخسر من يخسر، ويتأهل من يتأهل، حتى تنتهي المنافسة برمتها في نتيجتها النهائية بأن يكون واحد فقط من بين جميع المشاركين في "التصفيات" هو المؤهل الوحيد للفوز باللقب. فهذا هو – برأينا – الاصطفاء. أنها المنافسة العادلة التي تضمن وصول الشخص للمكان عن جدارة واستحقاق.

لكن لنتصور أنه قد وصل فريقان إلى النهائي، ولم يتم حسم المنافسة بينهما بأي وسيلة كانت، فما الذي يمكن فعله هنا؟ ألا يصبح لزاما أن نلجأ لعملية الاختيار التي قد لا تخلو من رأي صاحب القرار؟ (وهذا – برأينا – ما حدث في حالة موسى، لأسباب تعرضنا لها في مقالات أخرى. وندعو القارئ قبل الذهاب للبحث هناك أن يكون السؤال التالي هو محرك بحثه: لماذا كان موسى هو الرسول الوحيد الذي وقع عليه الاصطفاء والاختيار؟)

عودة على ذي بدء

دعنا نعود بمثل هذا الفهم المفترى إلى الآية الكريمة قيد النقاش:

- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ [آل عمران: 33]

السؤال مرة أخرى: لماذا كان آدم هو المصطفى الأول من بين جميع خلق الله؟ ما الذي حصل حينئذ؟
تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: جاء خلق البشر كلهم دفعة واحدة، ثم تصويرهم، قبل سجود الملائكة لآدم:

- ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١﴾ [الأعراف: 11]

فدخل جميع الخلق (نحن لا زلنا نتخيل) في عملية الاصطفاء (التصفيات)، فكان لابد من وجود منافسة حقيقية يتساوى فيها الجميع بطريقة عادلة، وكان المؤهل للاصطفاء هو الذي يفوز بتلك المنافسة عن جدارة واستحقاق، وذلك – برأينا- لسببين اثنين، وهما:

1. أن الله لا يظلم مثقال ذرة

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٤﴾ [يونس: 44]
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: 40]

2. حتى لا يكون للناس حجة على الله

- ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥﴾ [النساء: 165]

فالجميع كان أمامه الفرصة للفوز بالمنافسة ذاتها. لذا، كان من يفوز في تلك المنافسة (نحن لا زلنا نتخيل) هو المؤهل ليكون الخليفة الذي ستسجد له الملائكة، وبالتالي المؤهل للعلم الإلهي الأول الذي علمه لآدم، والأهم من هذا كله – برأينا – هو **أنه سيكون المؤهل للسكن في الجنة.** لتكون التساؤلات الآن هي:

⇐ ماذا كانت المنافسة التي دخلها كل البشر حينئذ؟

⇐ كيف فاز بها آدم من دونهم جميعا؟

⇐ ما علاقة ذلك بالسكن في الجنة أصلا؟

رأينا المفترى الخطير جدا (لا تصدقوه): إنها الزوج. انتهى.

نعم، لقد كانت المنافسة بين البشر جميعا حينئذ تتمثل في إيجاد الزوج. فكان على من يريد أن يفوز بالاصطفاء الإلهي أن يكون قادرا على أن يجد زوجه الذي خلقه الله من نفسه، ليكون بذلك مؤهلا للسكن في الجنة، فما استطاع أحد من البشر (نحن نتخيل) أن يصل إلى زوجه الذي خلقه الله من نفسه حينئذ إلا آدم، فكان هو أول المصطفين.

الدليل

لو تدبرنا قوله تعالى:

- ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ٨﴾ [النبأ: 8]
- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الروم: 21]

السؤال: متى تم خلقنا أزواجا؟ هل كان ذلك قبل أم بعد السجود لآدم؟

رأينا المفترى: لو دققنا في قصة آدم، لوجدنا بأن الله قد طلب من الملائكة السجود لآدم، وما أن سجد الملائكة لآدم وتخلف إبليس عن ركب الساجدين، حتى جاء الآمر الإلهي لآدم على النحو التالي:

- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: 34-35]
- ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف: 19]

السؤال: إذا كان الحديث حينئذ منصبا تماما عن آدم، وإذا كانت القصة كلها متعلقة بآدم، وإذا كان تعليم الأسماء حينها خاصا بآدم، فكيف (نحن نتساءل) يأتي الحديث بعد سجود الملائكة لآدم ليصور لنا وجود زوج آدم؟ فمن أين جاء(ت) زوج آدم؟ كيف تدخل (أو يدخل) زوج آدم المشهد هكذا دون سابق إنذار؟ من أين جاء(ت) زوج آدم في خضم تلك الأحداث المتتالية؟

رأينا المفترى: نعم عندما خلق الله البشر جميعا قبل مشهد السجود:

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11]

خلق لهم جميعا من أنفسهم أزواجا:

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: 21]

وهناك جاء خلقنا – نحن نظن ربما مخطئين – أزواجا:

- ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾﴾ [النبأ: 8]

وكان من الاستحالة بمكان (نحن نفتري الظن) أن يتم دخول الجنة لأي شخص منا حينئذ إلا أن يجد ذلك الشخص زوجه الحقيقي الذي خلق من نفسه، فانطلقت (نحن لا زلنا نتخيل) المنافسة التي اشتركنا بها جميعا حينئذ، ليجد كل منا زوجه الحقيقي، فما استطاع أحد الوصول إلى زوجه الحقيقي إلا آدم، فكان أول الواصلين إلى الجنة للسكن فيها. (سناريو جميل، وخيال غير مسبوق، أليس كذلك؟ فليردها عليّ من يستطيع أن ينكر ذلك!)

أما بعد،

إن هذا المنطق المفترى من عند أنفسنا (على علاّته) يحمل في ثناياه الظن بأن **الدخول في الجنة لا يتم إلا بالتزاوج**، أي أن يجد الزوج زوجه الذي خلق من نفسه. انتهى.

والآن، دعنا ننطلق بهذا الفهم المفترى من عند أنفسنا لمحاولة فهم الآية الكريمة التالي:

- ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ [التكوير: 1-7]

فالمدقق بهذا السياق القرآني سيجد أن تزويج النفوس سيأتي مع كل هذه الأحداث الكونية (الآيات) في ذلك الوقت. ليكون السؤال هو: ما أهمية تزويج النفوس في ذلك الوقت؟ هل نحن في حالة تسمح بهذا العمل؟ هل تزويج النفوس حينئذ من الكماليات أم من الضرورات؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن ذلك الفعل (تزويج النفوس) لا يقل أهمية عن الأحداث الكونية الأخرى المصاحبة ليوم الحساب (أو حتى السابقة له). فذلك إذا من الأفعال الضرورية، لأنها مقدمة لعملية الحساب في الآخرة. ليكون السؤال هو: لماذا؟ ما أهمية تزويج النفوس حينئذ؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن (ربما مخطئين) بأنه لن يتم الحساب، وبالتالي الدخول في الجنة أو في النار إلا بعد عملية التزاوج (تزاوج النفوس) أي أن ترجع كل زوج (انثى) للزوج (الذكر) الذي خلقت منه. وأن يجد كل زوج (ذكر) زوجه (الأنثى) التي خلقت منه، كما وجدها آدم من ذي قبل. انتهى. فلا وجود في الجنة إلا للأزواج، قال تعالى:

- ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: 56]

ولا تواجد في النار إلا للأزواج، قال تعالى

- ﴿۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الصافات: 22]

نتيجة مفتراة: كان آدم أول الداخلين في الجنة للسكن فيها لأنه استطاع أن يجد زوجه. وفي يوم الدين سيدخل الجنة من يجد زوجه كما سيدخل النار من سيجد زوجه، ويكون ذلك بعد تزويج النفوس.

وللحديث بقية بإذن الله

المدكرون: رشيد الجراح محمد إبراهيم علي الشرمان زكريا مصباح محمد مقداد

بقلم: د. رشيد الجراح
20- آذار- 2021



ماذا ستفعل النساء في الجنة؟

(الجزء الثالث)



ماذا ستفعل النساء في الجنة (3)؟

ماهية حور العين

خلصنا في الجزء السابق من هذه المقالة بتقديم الافتراءات التالية:

- خلق الله البشر كلهم أجمعين (باستثناء عيسى ويحيى) قبل السجود لأدم
- صوّر الله البشر قبل السجود لآدم
- خلق الله لكلٍ زوجه
- انطلقت المنافسة الأولى لاصطفاء من يسكن الجنة مع زوجه الذي خلقه الله منه
- كان السكن في الجنة يتطلب وجود الزوج، فلا سكن في الجنة دون تزاوج
- انطلقت المنافسة للعثور على الزوج الحقيقي
- لم ينجح في ذلك إلا آدم، فهو من استطاع أن يجد زوجه الذي خلقها الله من نفسه، فكان أول المصطفين
- هناك بدأت قصة رحلة البشرية في الجنة، وتوالت أحداثها فيما بعد.
- الخ

(للتفصيل انظر الجزء السابق)

السؤال: ما الذي حصل بعد ذلك؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: ما أن وجد آدم زوجه الذي خلقها الله من نفسه، حتى كان هو محل الاصطفاء الإلهي الأول، فجاء تعليمه من الله، قال تعالى:

- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: 31]

فأقرت الملائكة بالأفضلية لآدم:

- ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: 32]

فطُلِب من آدم أن ينبئهم بأسمائهم:

- ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: 33]

وما أن أنبئهم آدم بأسمائهم حتى طُلب منهم السجود له:

- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: 34]

وهنا بالضبط تظهر زوج آدم في المشهد، فطُلب من آدم أن يسكن الجنة هو وزوجه:

- ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: 35]

وانظر عزيزي القارئ – إن شئت – في السياق القرآني ذاته جملة واحدة من هذا المنظور، حيث تجد تسلسل الأحداث كما جرت حينئذ:

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١
- قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٣٢
- قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ٣٣
- وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤
- وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: 31-35]

نتيجة مفتراة: تظهر زوج آدم بعد مشهد السجود مباشرة

ليكون **السؤال** المطروح الآن هو: من هي زوج آدم التي ظهرت بعد مشهد السجود لتسكن مع آدم الجنة؟

رأينا المفترى: ربما لا يستطيع أحد أن ينكر بأن التراث قد سمى زوج آدم "حواء". فدعنا نخالفهم الرأي لنفتري القول من عند أنفسنا بأن زوج آدم لم تكن تسمى حواء، وإنما كان اسمها (نحن نفتري الظن من عند أنفسنا) حوراء. وهذا ما سنحاول جلب الدليل عليه الآن، وذلك لربطه بفكرة الحور العين في الجنة بعد يوم الحساب.

الدليل

لو دققنا قليلا في النص القرآني، لوجدنا بأن آدم وزوجه قد أُسكنا الجنة معا في ذات الوقت. أليس كذلك؟

- ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف: 19]

فماذا كانت صفة العلاقة بين آدم وزوجه عندما سكنا الجنة معا؟ فهل كانت العلاقة الجنسية – مثلا - هي محرك السكن في الجنة؟

رأينا المفترى: كلا وألف كلا. فنحن نظن (ربما مخطئين) بأن آدم وزوجه كانا يسكنان الجنة معا، لكن العلاقة بينهما لم تكن تتسم بالمعاشرة الجنسية المعروفة عندنا الآن.

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: لأن العلاقة بينهما كانت مبنية على عدم ظهور الأعضاء التناسلية (السوءة)، وذلك لأنها كانت مغطاة، غير بادية لهما، وكان الشيطان هو من نزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: 27]

فكانت تلك فتنة الشيطان لآدم وزوجه، وكان ظهور السوءة هو السبب المباشر لخروج آدم وزوجه من الجنة على يد الشيطان. فلو لم ينزع الشيطان عن آدم وزوجه لباسهما، لما بدت لهما سوءاتهما، ولما أخرجا من الجنة. فهل هذا منطق مقبول لغاية الآن؟

نتيجة مفتراة مهمة جدا: نحن نفتري الظن بأن السكن في الجنة يتطلب عدم ظهور السوءة. فلا تكون هناك إذا علاقة جنسية بين ساكني الجنة من الأزواج. (للتفصيل انظر مقالاتنا السابقة). ونحن نفتري الظن بأنه لو حصل أن بدت السوءة لمن يسكن الجنة، لأخرج منها على الفور، كما حصل لآدم وزوجه.

السؤال: ما دام أن العلاقة بين آدم وزوجه في الجنة لم تكن علاقة جنسية لأن السوءة كانت غير بادية لهما حينئذ، فماذا كانت صفة العلاقة بينهما؟

رأينا المفترى: إنها التحاور. فالساكنون في الجنة يتحاورون فقط. فالجنة ليس فيها جنس، ولكن فيها حوار (تحاور). ولننظر في السياقات القرآنية التالية:

- ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧﴾ [الكهف: 33-37]

نتيجة مفتراة: العلاقة بين الأزواج في الجنة هي التحاور، فكانت زوج آدم (نحن نظن) هي من تحاوره في الجنة، فكانت حوراء (من التحاور). وسنرى لاحقا بإذن الله كيف كانت هذه العلاقة كافية لزوج آدم (حوراء) ولم تكن كافية لزوجها آدم، فكان هو من وقع في المعصية وفي الغواية، ثم احتاج للتوبة.

الدليل

دعنا نحاول ابتداءً جلب الدليل بطرح التساؤل التالي: لماذا يوجد في الجنة حور؟ ولماذا هي حور عين؟ وما هي ماهية هذه الحور العين؟

رأينا المفترى: عندما نتفكر بمفردة الحور ومشتقاتها، سنجد على الفور بأن لها علاقة – مثلا – بمفردة الحواريين الواردة في سياق الحديث عن قصة عيسى بن مريم. ليكون السؤال الآن هو: من هم الحواريون؟ ولماذا هم حواريون؟

رأينا المفترى: لقد تعرضنا لهذه الجزئية في سلسلة مقالاتنا عن قصة المسيح عيسى بن مريم، ولكننا نجد أنه من الضروري هنا استدعاء بعض الافتراءات التي حاولنا تسطيرها هناك، لارتباطها بموضوع النقاش هنا.

أما بعد،

لقد كان جلّ نقاشنا حينئذ منصبا على أن مفردة الحواريين لها علاقة بمصدرين رئيسين وهما:

1. الحور

- ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ۝٥٤﴾ [الدخان: 54]
- ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ۝٢٠﴾ [الطور: 20]
- ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن: 72]
- ﴿وَحُورٌ عِينٞ ۝٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ ۝٢٣﴾ [الواقعة: 22-23]
- ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾ [الانشقاق: 14]

لذا، كان لزاما علينا أن نحاول ربط مفهوم الحور (في الجنة) بقصة الحواريين، وذلك لظننا أن هناك علاقة مشتركة بين الحواريين من جهة والحور من جهة أخرى. ونحن نفتري الظن بأن واحدة من أهم التشابهات هو عدم وجود العلاقة الجنسية.

2. الحوار

وبالوقت ذاته نجد أن مفردة الحور ومفردة الحواريين لهما علاقة بمفردة الحوار أو المحاورة ومشتقاتها، قال تعالى:

- ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤﴾ [الكهف: 34]
- ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧﴾ [الكهف: 37]
- ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ [المجادلة: 1]

إن صح افتراؤنا بأن مفردة الحور ومفردة الحواريين لهما علاقة بمفردة الحوار، لربما حُقّ لنا أن نعيد الافتراء الذي قدمنا من ذي قبل، والذي مفاده بأن الحواريين هم فقط من استطاعوا التحاور مع عيسى بن مريم بوحي مباشر من الله، وذلك لأن عيسى بن مريم – كما افترينا القول سابقا – لم يكن يتحدث بلسان الناس الذين من حوله، مادام أنهم ليسوا بقومه، فالحواريون هم فقط من استطاع أن يفهم لسان عيسى بن مريم بوحي مباشر من الله. فلقد كان لعيسى ابن مريم لسانا خاصا به، فكان لابد من وجود من يستطيع محاورته:

- ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة: 78]

نتيجة مفتراة خطيرة جدا: إن ما يهمنا طرحه هنا، هو أن الحور العين في الجنة هي وسيلة تواصل وحوار وليس وسيلة جنس وشهوات.

تخيلات مفتراة: كان آدم وزوجه يسكنان الجنة، وكان عندهم علم الاسماء الحقيقي، وكان وجودهم في الجنة يتطلب أن تكون السوءة مغطاة، غير بادية. فكان لابد من وجود أداة تواصل بينهما، فكان هناك حور عين كأمثال اللؤلوء المكنون:

- ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١ وَحُورٌ عِينٞ ٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ٢٣ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾ [الواقعة: 20-24]
- ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٤ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ٤٥ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ٤٧ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾ [الصافات: 40-49]
- ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٥ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٥٦﴾ [الرحمن: 54-56]
- ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٧٤﴾ [الرحمن: 72-74]

لو دققنا في هذه السياقات جيدا، لوجدنا بأن صفات الحور في الجنة هي على النحو التالي:

- عين
- كامثال اللؤلؤ المكنون
- قاصرات الطرف
- بيض مكنون
- لم يطثهن إنس قبلهم ولا جان
- مقصورات في الخيام

السؤال: كيف يمكن أن نفهم ماهية الكينونات التي هذه صفاتها مجتمعة؟

دعنا نبدأ بهذه الصفات الواحدة تلو الأخرى، لنرى في نهاية المطاف من (أو ما) الذي يمكن أن يتصف بهذه الصفات كلها جملة واحدة، ثم لننظر إن كان هذا ينطبق على كينونات انثوية أو ذكرية تقوم بعمليات جنسية داخل الجنة.

أما بعد،

إن أول صفة من صفات هذه الكينونات أنها عين:

- ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤﴾ [الدخان: 54]
- ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾ [الطور: 20]
- ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢﴾ [الواقعة: 22]

والآن دقق عزيزي القارئ – إن شئت – في أول ما يلفت الانتباه في هذه الآيات الكريمة، ألا وهو أن التزويج لم يكن "حورا عينا" وإنما "بِحُورٍ عِينٍ". دقق جيدا عزيزي القارئ في الفرق بأن تكون الآية مثلا على نحو:

- زوجناهم حورا عينا

أو

- زوجناهم بحور عين:

- ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾ [الطور: 20]

رأينا المفترى: نحن نعتقد جازمين بأنه لو جاء النص القرآني على نحو "زوجناهم حورا عينا"، لربما حُقّ لنا أن نستنبط أن ذلك فعل يقع بين الذكر والأنثى، وذلك لأن فعل التزاوج يكون فعلا متعديا إلى المفعول به مباشرة (كما يحلو لأهل اللغة أن يصفوه)، قال تعالى:

- ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ٣٧﴾ [الأحزاب: 37]
- ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ٥٠﴾ [الشورى: 50]

لنخلص إلى نتيجة مفادها أنك أنت كذكر تتزوج الأنثى وليس بالأنثى، والانثى تزوج الذكر وليس بالذكر.

نتيجة مفتراة: مادام أن التزاوج قد تم بالحور العين، فالحور العين ليست (نحن نظن) كينونة يقع عليها فعل الزواج مباشرة، ولكنها أداة يتم التزاوج من خلالها. فالباء هنا تدل (نحن نعتقد) على الطريقة في تنفيذ الفعل، والحور – برأينا – ليست أكثر من أداة، كقولنا – مثلا – فتحت الباب بالمفتاح، وذهبت إلى عمان بالسيارة، وهكذا. ولو تفقدنا السياقات القرآنية، لوجدنا ما يثبت مثل هذا المعنى في كتاب الله، قال تعالى:

- ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ٤٨﴾ [العنكبوت: 48]
- ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾ [طه: 17]
- ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ٦٣﴾ [الشعراء: 63]

نتيجة مفتراة خطيرة جدا: الحور أداة وليست كينونة ليقع عليها صفات التذكير أو التأنيث.

السؤال: ما هي ماهية هذه الأداة؟
رأينا المفترى: إنها عِين.

السؤال: لماذا هي عين؟
رأينا المفترى: لأنها – ببساطة – تشبه العين في الشكل والوظيفة. فالفرق بين العَين والعِين هو الفتح والكسر (وذلك لأن الأولى – كما سنرى لاحقا إن شاء الله – يمكن أن تمُدّ وتخون بينما الأخرى مقصورة ولا يمكن أن تخون)

فمن حيث الشكل، فهي تشبه عين الإنسان، وعين الماء، وهي تفيض من الدمع وتتفجر بالماء، ونحو ذلك كله، والأهم من ذلك كله هو أن العين هي نافذتك إلى العالم الخارجي، وبدونها أنت لا تستطيع أن تستمتع بما حولك، لأن للعين لذة، خاصة للتمتع بنعيم الجنات، قال تعالى:

- ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: 71]

ولا شك أن العين إذا ما طمست، كانت النتيجة العذاب:

- ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يس: 66]
- ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ [القمر: 37]

والعين لها صفات عديدة في كتاب الله، قال تعالى:

- ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: 13]
- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: 179]
- ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف: 195]
- ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: 44]
- ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: 92]
- ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود: 31]

الأعين تبصر

ولا شك أن الأعين التي تبصر هي التي تستخدم في المراقبة، قال تعالى:

- ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود: 37]
- ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [المؤمنون: 27]
- ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ [يوسف: 84]

- ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: 131]
- ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنبياء: 61]
- ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: 74]
- ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص: 9]
- ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص: 13]
- ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: 17]
- ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: 19]
- ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ [الأحزاب: 51]
- ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ: 12]
- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يس: 66]
- ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: 71]
- ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور: 48]
- ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: 14]
- ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ [القمر: 37]
- ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرحمن: 50]
- ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن: 66]
- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك: 30]
- ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [المعارج: 36]

- ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: 6]
- ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان: 18]
- ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين: 28]
- ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾ [الغاشية: 5]
- ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾ [الغاشية: 12]
- ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾ [البلد: 8]
- ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: 7]

ولا أريد الدخول في تفصيلات أكثر من هذه في هذا الوقت، لأنه يكفينا هنا أن نتخيل شكل العين ووظيفتها، وهو ما قد يفيدنا في الحديث هنا عن الحور العين، في جنات النعيم.

قاصرات الطرف

ولو انتقلنا لصفة أخرى من صفات الحور العين، لوجدنا بأنهن قاصرات الطرف، قال تعالى:

- ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨﴾ [الصافات: 48]
- ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢﴾ [ص: 52]
- ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾ [الرحمن: 56]

لنطرح هنا التساؤلات التالية:

- ما معنى قاصرات الطرف؟
- لماذا وصفت الحور العين بقاصرات الطرف؟
- وكيف يمكن أن نربط ذلك بأنهن عين؟
- الخ.

رأينا المفترى: لو تفقدنا مفردات هذه الآيات جيدا، لوجدنا أن مفردة الطرف لها علاقة بالعين أيضا، فهذا الذي عنده علم من الكتاب يعد سليمان بأن يحضر له عرش تلك المرأة قبل أن يرتد إليه طرفه:

- ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾ [النمل: 40]

إذا، الحور العين (نحن نتخيل) عبارة عن عين خاصة، تستخدم للرؤية ولها طرف، ولكن ما يميز هذا الطرف هو أنه قاصر. ليكون السؤال الآن هو: لماذا تكون هذه الحور العين قاصرات الطرف؟ ما معنى قاصر ابتداء؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن التقصير أو القصور، هو عدم تجاوز حد معين، بل على العكس هو الكف عن التمادي.

- ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء: 101]
- ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: 27]

والقصر الذي يسكنه الأثرياء وعِلية القوم هو قصر لأنه – برأينا – يحد من رؤيتهم من قبل الآخرين، فهو مقصور عليهم،

- ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحج: 45]

ولا يستطيع من ليس عنده القدرة المالية والمكانة الاجتماعية أن يصل إليه. فمن يستطيع أن يصل إلى قصر السلطان بغير الأحلام كما يغنيها كاظم الساهر (وحلمت بأن تتزوجني بنت السلطان)؟ ما علينا!

السؤال: لماذا الحور العين قاصرات الطرف؟
رأينا المفترى: حتى لا تحدث الخيانة، وذلك لأن العين (التي تراقب) قد يحصل منها الخيانة أحيانا:

- ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: 19]

فالتواصل الذي يحدث بين الذكر والأنثى بالنظر لا يمكن أن يعرف ماهيته إلا الناظرون أنفسهم. لأن في العيون سهم لا يمكن أن يكتشفه إلا من سدد نحوه. فلو كنتَ في جمع من الحاضرين، وحصل تراشق بالنظر بين رجل وامرأة يستحيل أن يفهم ماهية هذه السهام التي سددها الطرفان (أو أحدهما) إلا الناظر والمنظور إليه.

السؤال: ما علاقة هذا بموضوع الحور العين في الجنة؟ ولماذا هنّ قاصرات الطرف؟
رأينا المفترى: لأن هذه العين (العيون) هي أداة التواصل بين الزوجين في الجنة، ومادام أنها قاصرات الطرف، فيستحيل إذا أن تحصل الخيانة بين الزوجين، لأنها مقصورة على الأزواج أنفسهم، فتلك الحور الذي زوجا بهما داخلي الجنة من الأزواج لا تمكنهما من النظر لغيرهما. فالزوج ينظر لزوجه فقط أين ما كانت، كما تنظر الزوج لزوجها فقط أينما كان، ويكون ذلك من خلال هذه الأداة، أي الحور العين قاصرات الطرف عليهما فقط.

وبذلك لا يستطيع الأزواج في الجنة أن يمدوا أعينهم:

- ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: 131]

نتيجة مفتراة: الحور العين هي – برأينا – أداة التواصل بين الأزواج في الجنة، وهي قاصرات الطرف على الأزواج، فلا تقع الخيانة بين الأزواج، لأن كل منهما واقع عينه على زوجه أينما كان في الجنة.

شكل حور العين

السؤال: كيف هو شكل ذلك الحور العين؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن شكلهما هو ما جاء في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: 48-49]

ليكون **السؤال** الآن هو: كيف هنّ بيض مكنون؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الشكل هو شكل البيض الذي نعرفه (بيض المائدة بشتى أنواعه). لكن ما يميّز هذا البيض هو أنه مكنون. ليكون السؤال الآن هو: كيف يكون ذلك البيْض مكنونا؟

رأينا المفترى: يمكن لنا أن نتخيل ذلك إن نحن جلبنا السياق القرآني التالي إلى النقاش على الفور، قال تعالى:

- ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور: 24]
- ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة: 22-23]

ألا تعرف عزيزي القارئ ما هو اللؤلؤ المكنون؟ وكيف يكون شكله؟ وهل له علاقة من حيث الشكل بالبيض؟ ثم ألا يكون البيض المكنون ويكأنه اللؤلؤ المكنون؟

السؤال: وأين يكون ذلك مكنونا؟ وما معنى مكنون أصلا؟

رأينا المفترى: لو تفقدنا النص القرآني على مساحته عن مفردة مكنون، لوجدناها قد جاءت في الآية الكريمة التالية:

- ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: 77-78]

وحتى لا ندخل في تفاصيل كثيرة، يكفينا أن نقول أن الكتاب المكنون هو الكتاب الذي يحفظ بطبقة خارجية تقييه من التأثيرات الخارجية. فيكون اختراقه مستحيلا لأنه مكنون، كما نجد ذلك واضحا في قوله تعالى:

- ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: 46]

فمادام القلب قد تمت تغطيته بالأكنة، فيستحيل أن يخترقه حتى الكلام ليفهمه ذلك القلب الذي غلف بالأكنة. فالمكنون هو إذا ما تم تغليفه ليحفظ من الاختراق.

ليكون **السؤال** هو أن تحفظ تلك الحور العين؟
رأينا المفترى: دعنا نقرأ الآية الكريمة التالية:

- ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: 72]

السؤال: ما هي الخيام التي تكون الحور مقصورات بها؟
رأينا المفترى: أنها تلك الخيام التي نعرف شكلها والتي تستخدم عادة كغطاء، فهي التي تجعل الحور العين مقصورات فيها، وتجعلها كأنها لؤلؤ مكنون، وبالتالي تمكن الأزواج من الخصوصية التي يستحيل لأحد أن يخترقها.



(source: https://www.dreamstime.com/royalty-free-stock-photo-shell-pearl-image19220185)

السؤال: أين الدليل أن اختراقهن من قبيل المستحيل لغير الأزواج؟
رأينا المفترى: قال تعالى:

- ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن: 56]
- ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾﴾ [الرحمن: 72-74]

السؤال: ما معنى لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان؟
رأينا المفترى: Brand new، ماركة مسجلة. (وسنتحدث عن الماهية لاحقا بإذن الله).
والآن يأتي **السؤال الأخير** وهو: ما هي الحور العين التي جاء وصفها في الآيات الكريمة التالية مجتمعة؟

- ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١ وَحُورٌ عِينٞ ٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ ٢٣ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾ [الواقعة: 20-24]
- ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٤ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ٤٥ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ٤٧ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾ [الصافات: 40-49]
- ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٥ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٥٦﴾ [الرحمن: 54-56]
- ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٧٤﴾ [الرحمن: 72-74]

تخيلات مفتراة: نحن نفتري الظن بأن الحور هي أداة التواصل بين الزوج والزوج (الزوجين) في الجنة، وهي ما تشبه بشكلها البيض المكنون أو اللؤلؤ المكنون، حيث يمكن أن تنقسم تلك اللؤلؤة إلى نصفين متساويين، يتم التزاوج بهما بين الزوجين عندما يأخذ كل واحد منهما نصف تلك اللؤلؤة المكنونة، ويضعها على صدره، فتكون بمثابة أداة المراقبة والتواصل بين الزوجين في الجنة، فلا يغيب أحدهم عن نظر الآخر مهما ابتعد في تلك الجنة التي عرضها السماوات والأرض. فهي أعظم أداة تواصل لاسلكي بين الأزواج في الجنة.

وللحديث بقية بإذن الله

المدكرون: رشيد الجراح محمد إبراهيم علي الشرمان زكريا مصباح محمد مقدادي

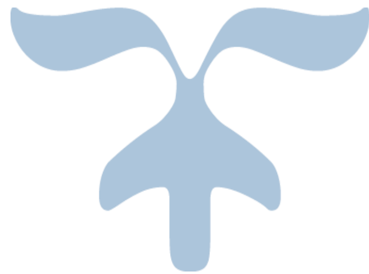
بقلم: د. رشيد الجراح:

1- نيسان 2021



ماذا ستفعل النساء في الجنة؟

(الجزء الرابع)



ماذا ستفعل النساء في الجنة (4)؟

لما سكن آدم وزوجه الجنّة، كانا قادِرَين على المحاورة بما اختصهما الله به من علم الأسماء، فكانت حياتهما في الجنة رغدا، يأكلان منها حيث شاءا:

- ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ [البقرة: 35]

وكانت سوءاتهما غير بادية لهما، وكانت زوج آدم (حوراء) هي الوحيدة القادرة على محاورة زوجها في الجنة، وكان على آدم أن يحقق الخلافة التي اختصه الله بها في الجنة:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة: 30]

فكان عليه أن يختار التكاثر في الجنة (نحن نظن) بطريقة النفخ. ويتم ذلك دون الحاجة إلى أن تُبدى لهما سوءاتهما، وكل ذلك بفضل وجود القميص الذي كان يواري سوءاتهما، كما حصل – مثلا- مع مريم ابنت عمران لاحقًا، عندما أرسل لها روحنا ليهب لها غلاما زكيا، فمريم كانت (نحن نتخيل) تلبس ذلك القميص الذي كان يواري سوءاتها عندما نفخ الروح في فرجها (للتفصيل انظر المقالات السابقة). ونحن نفتري الظن بأن مفردة محررا التي وردت في سياق الحديث عن مريم عندما نذرتها أمها، تحمل في ثناياها هذا المعنى:

- ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٥﴾ [آل عمران: 35]

فلقد كان النذر يحمل في ثناياه أن تكون أو أن يكون ما في بطن امرات عمران محررا لأنها ستلبسه/ تلبسها ذلك القميص الذي وجدته في بيت عمران (للتفصيل انظر مقالاتنا السابقة).

ولو أن آدم (نحن نتخيل) لم ينزل عند نصيحة الشيطان له ولزوجه، لاستمر (نحن نفتري القول) التكاثر في الجنة بطريقة النفخ في الفرج دون أن تبدى سوءته، ولما استطاع الشيطان أن ينزع عن آدم وزوجه لباسهما الذي كان يواري سوءاتهما، ولما تغيرت الخلافة إلى الملك، وهو ما وعد الشيطان به آدم.

ولكن عندما نزل آدم - على وجه التحديد - عند نصيحة الشيطان، واختار مَلكِه (أي عضوه الذكري)، ليكون هو أداة التكاثر، بدلا من التكاثر بالنفخ، (للتفصيل انظر فهمنا للآية الكريمة التالية في مقالات سابقة:

- ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ۝٨٧﴾ [طه: 87])

تبدلت الصورة، وأصبح التكاثر يتم بالملك (العضو الذكري) بدلًا من النفخ. فنشأت الأنساب التي كان من المفترض أن لا تنشأ. وهنا تحققت على أرض الواقع طريقة التكاثر الجديدة كما تصورها الآية الكريم التالية (كما نفهمها طبعا):

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: 13]

(وبعدين بيجيلك واحد بقلك ليش الناس في كل ثقافات الأرض ما بحبوا الرقم 13، ويربطونه بسوء الحظ. هيّه قليلة كانت عثرتنا من ذلك اليوم اللي صرنا شعوب وقبائل وخسرنا الحياة الرغد في الجنة – أنداري؟!!)

إن ما يهمنا طرحه هنا هو أنّه في حين أن حوراء (زوج آدم) كانت راغبة باستمرار علاقة التحاور بينها وبين زوجها في الجنة، وراغبة بأن يكون التكاثر بالخلافة (النفخ) كما أراد الله، وحريصة على ذلك اللباس الذي يواري سوءتها (للتفصيل انظر قصة النسوة في قصة يوسف)، وأنها لم تكن راغبة بالملك ولا بالأنساب (وهي لغاية اليوم لا تحمل النسب)، كان زوجها غير مكتف بكل ذلك، فكانت عيناه ترنو إلى ما وراء ذلك اللباس الذي كان يواري سؤاتهما. (أنداري عن الزلم ليش هم هيك؟ يا عيب!).

ولكن كان الذي يبقي شعلة الغريزة الجنسية خامدة في ذلك العضو الذكري (الملك) عند آدم هي – برأينا- تلك العصا التي كان يهش بها على غنمه:

- ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨﴾ [طه: 18]

فالعصا التي انتهت إلى يد موسى وكان يهش بها على غنمه (أي الحيوانات المنوية التي توقد الرغبة الجنسية – انظر مقالاتنا عن قصة داود وسليمان فيما يخص الخرث الذي نفست فيه غنم القوم)، كانت (نحن نفتري الظن) أصلا بيد آدم كأداة الخلافة في الجنة، لذا جاءت الآية الكريمة التالية لتبين لنا بأن لتلك العصا سيرة أولى:

- ﴿قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١﴾ [طه: 21]

فالسيرة الأولى لتلك العصا كانت – برأينا – مع آدم في الجنة قبل أن يهبطا منها. (للتفصيل انظر مقالاتنا السابقة)

ولمّا كانت تلك العصا هي أداة الخلافة التي كان يقهر بها آدم خصمه (الجن)، ولما كانت تلك هي من تجعل الجن كلهم أجمعين يسجدون له لما بها من قوة رهيبة، كما كانت بيد سليمان لاحقا كمنسأة:

- ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ: 12]

فما كان أحد من الجن يستطيع أن يتلكأ عن أمر يصدره لهم من بيده تلك المنسأة، لأنها كانت تذيقه من عذاب السعير:

- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: 14]

(للتفصيل انظر مقالاتنا السابقة عن رحلة العصا من آدم إلى إدريس فإبراهيم، فموسى، فسليمان، فالدابة)

ولما كانت تلك العصا (أداة الخلافة) بيد آدم حينئذ، كانت كل أوامره ملبّاة في الحال من قبل الجن (ملائكتهم وشياطينهم)، فكانت تلك العصا التي بيد آدم حينئذ هي العدو اللدود لإبليس نفسه، لأنه لا يستطيع أن يجلب بخيله ورجله على آدم وزوجه (وذريتهما بعد ذلك) مادامت تلك العصا بيد آدم. فكان لابد من تدبير الخطة المحكمة التي تفضي إلى أن يضع آدم تلك العصا من يده إلى غير رجعة. فما كان ذلك ممكنا إلا بأن يظهر الشيطان لآدم ولزوجه ما وري عنهما من سوءاتهما، فينزع عنهما ذلك اللباس الذي يغطيها، فيستبدل (إن هو نجح بذلك) الخلافة التي اختارها الله لآدم بالملك الذي نصح به الشيطان آدم، فما يعد بالإمكان أن يحصل التكاثر بالنفخ، ويصبح لزاما التكاثر بالملك (العضو الذكري).

وبالفعل نجحت خطة الشيطان، فأوقع آدمَ في شركه، وتمت عملية الاستبدال، فكانت عصا مقابل عصا. وما كان من زوج آدم إلا أن تنزل عند رغبة زوجها، مكرهة لا راغبة.

السؤال: كيف حصل كل ذلك على أرض الواقع؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: سكن آدم وزوجه في الجنة، وأكلا منها رغدا حيث شاءا، وكانت العلاقة بينهما تحاورية لا جنسية، حتى جاءت اللحظة التي كان يجب أن يحصل فيها التكاثر (الانجاب). فكان على آدم أن يلقي **" كلمته"** بالنفخ في فرج زوجه وهي موارة بذلك اللباس (بالضبط كما حصل مع مريم)، ليتحصل لهما الذرية في الجنة. وفي تلك اللحظة التاريخية (نحن نتخيل) تدخل الشيطان لهما بالوسوسة، قائلا:

- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف: 20]
- ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه: 120]

ولو دققنا مليّا في هذين السياقين، لوجدنا بأن وسوسة الشيطان لآدم وزوجه معا كان هدفها نزع اللباس عنهما (فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا)، ولكن وسوسة الشيطان لآدم وحده كانت بأن يدلّه على شجرة الخلد وملك لا يبلى (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ).

ولو راقبنا سلوك الذكر والأنثى حتى الساعة، سنجد على الفور بأن الأنثى أكثر حرصا على تغطية سوءتها من الرجل، وأن الأنثى أقل رغبة بالعملية الجنسية من الرجل، وأن الأنثى أكثر رغبة بالمحاورة والمغازلة اللفظية من الرجل، وهكذا. (أنداري عن النساء ليش هم هيك؟!)

السؤال: لماذا اجتهد الشيطان أن ينزع عن آدم وزوجه لباسهما؟

رأينا المفترى: لأن ذلك اللباس هو مكمن القوة في النفخ. فما دام آدم وزوجه يلبسان ذلك القميص الذي يواري سوءاتهما، فعملية النفخ ستتم بكل يسر وسهولة، ولكن إن تمكن الشيطان أن ينزع عنهما ذلك اللباس، فستتعذر عملية النفخ، وتتعطل، ويصبح لزاما اللجوء إلى طريقة أخرى بالتكاثر. وهذا – برأينا- ما كان الشيطان يسعى جاهدا لتحقيقه على أرض الواقع. وانظر عزيزي القارئ – إن شئت- في مقالاتنا السابقة عن قصة القميص عند إدريس وإبراهيم ويوسف ومريم، فهم من تمّ وصفهم بالنص القرآني بلفظ الصديق، لأن كل من لبس ذلك القميص كان (نحن نرى) صديقا:

- ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦﴾ [مريم: 56]
- ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١﴾ [مريم: 41]
- ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٤٦﴾ [يوسف: 46]
- ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٧٥﴾ [المائدة: 75]

فرحلة القميص بعد أن نزعه الشيطان عن آدم وزوجه، انتقلت إلى إدريس ثم إلى إبراهيم ثم إلى يوسف وانتهى به المطاف عند مريم، حتى رجع إلى الله مع رفع المسيح عيسى ابن مريم إليه. (وسنعود لهذه الرحلة مرارا وتكرارا بإذن الله لعلاقتها بقصة البشرية على الأرض. فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم وأن يهديني لما اختلف فيه الناس من الحق بإذنه، إنه هو السميع البصير – للتفصيل انظر مقالاتنا السابقة عن رفع المسيح).

لكن لما كان آدم هو العنصر الأكثر قدرة على اتخاذ القرار (طبعا بسبب زيادة جرعة النفس فيه – انظر مقالاتنا السابقة)، انصاعت زوج آدم لرغبة زوجها حتى وإن كانت غير مقتنعة تماما بما يفعل (زي ما بعملن النساء مع الرجالة حتى الآن – بيوخذنهم ع قد عقولهم، وفي الحقيقة هي تتهرب من تحمل مسئولية تبعات

اتخاذ القرار)، فحصل ما حصل، وتمكن الشيطان من أن ينزع عنهما لباسهما. فاستطاع أن يخرجهما مما كان فيه:

- ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: 36]

وهنا بدأت خيوط القصة تنسج بطريقة جديدة، مختلفة عما كان الله قد نصح آدم وزوجه به من قبل:

- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: 117]

فبعد أن كانت حياتهما في الجنة رغدا، انقلبت إلى الشقاء. فتحملت زوج آدم تبعات المشقة بالحمل، وتلذذ آدم بشهوة العملية الجنسية التي يريدها. (أنداري عن الزلم والنسوان ليش همه هيك؟!) ما علينا!

السؤال: ما الذي حصل بعد ذلك؟ فإذا كان ذلك هو قرار آدم وزوجه حينئذ، فما دخلي أنا وأنت بكل ذلك؟ ولم علينا أن نتحمل تبعات قرار آدم وزوجه؟

عودة على بدء: الخلق الأول

لما كان الخلق الأول سابقا لسجود الملائكة لآدم، كما تصوره الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11]
- ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف: 48]

كان ذلك هو الخلق أول مرة (كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)، وكان من المفترض (نحن نظن) أن نأتي جميعا بطريقة النفخ في الجنة التي سكنها آدم وزوجه، مادام أننا سنكون خليفة الجن فيها، ولكن ما أن تغيرت الخطة برمتها بسبب نزول آدم عند نصيحة الشيطان له حتى أصبح من المتعذر أن نأتي بتلك الطريقة، وأصبح لزاما أن نأتي بطريقة الملك (العضو الذكري). وهنا كان لابد أن تحصل الموافقة المسبّقة من الجميع (أي جميع الخلق الأول) للمضي قدما بهذه الطريقة الجديدة، فمن أراد الاستمرار، كان له ذلك، ومن أراد عدم المضي قدما، كان له ذلك، فالمسألة اختيارية لا اجبار فيها، وبهذا المعنى (ربما الخاطئ) نقرأ قوله تعالى:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172]

ليكون هناك مجموعة من التساؤلات لابد من إثارتها على الفور، نذكر منها:

⇐ لماذا أخذ ربنا من بني آدم ذريتهم؟
⇐ متى حصل ذلك؟
⇐ على ماذا أشهدهم؟
⇐ كيف أشهدهم؟
⇐ هل نتذكر تلك الحادثة ومكان حصولها؟
⇐ هل من الممكن أن نتذكرها حتى لو كنا قد نسيناها؟
⇐ وما السبيل إلى ذلك كله؟
⇐ الخ.

تخيلات أغرب من الخيال: لما نزل آدم عند نصيحة الشيطان، كانت أول الهزات الارتدادية لهذا الفعل الشنيع الذي وقع به آدم (وتبعته به زوجه) هو أنه قد نُزِع عنهما (أي عن آدم وزوجه)، لباسهما:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: 27]

فخسرا الصداقة (إي أن يكونا صدّيقين)، ولنتذكر هنا افتراءنا السابق بأن كل من كان يلبس ذلك القميص، كان صدّيقا أو صدّيقة. ولكن من تنازل عنها (كآدم وزوجه) لا يمكن أن يتصفا بهذه الصفة من جديد. فمفردة الصدّيق تدل – برأينا – على الذي يعِفّ عن فكرة شهوة الجنس، وهذا ما حصل لإدريس ولإبراهيم وليوسف ولمريم. ولو تدبرنا مفردة الصديق (المشتقة من مفردة الصدّيق) سنجد بأن فكرة الصديق تنطبق على كل من تدخله بيتك وتأمنه على محارمك لأن فكرة الجنس بالنسبة له تكون خيارا لا يمكن التفكير فيه، قال تعالى:

- ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦١﴾ [النور: 61]

فيستحيل على أي إنسان سوي (نحن نظن) أن يتخذ فلانا صديقا، ويدخله بيته، مادام أن احتمال وجود فكرة الجنس مع أحد أفراد البيت واردة. فالصديق هو من يمكن لك أن تدخله بيتك وتكون مطمئن البال تجاهه من هذا الباب. (أنداري ليش الناس مو هيك؟!) ما علينا!

إن ما يهمنا طرحه هو أنه قد أصبح لزاما على آدم وزوجه أن يُخرجا من الجنة بعد النزول عند نصيحة الشيطان، لأن السكن في الجنة يتطلب وجود اللباس الذي يواري سؤاتهما. فأمرا بالهبوط منها، وانتهت بهم الرحلة (نحن نتخيل) إلى واد غير ذي زرع، وكان ذلك بمكة، فحصلت المعاشرة الجنسية بين آدم وزوجه لآول مرة في واد منى (حيث سال مني الرجل في رحم الأنثى – انظر مقالاتنا السابقة حول هذه الجزئية). فكانت كلها حينئذ ذرية في ظهر آدم. وانقسمت تلك الذرية إلى قسمين اثنين، وهما ما انتهى إلى ظهر ابن آدم الأول (إدريس) وما انتهى إلى ظهر ابن آدم الآخر (إسرائيل). وسنرى أن ذلك القميص كان السبب الذي من أجله طوعت لابن آدم القاتل نفسه قتل أخيه. (وسنرى أن القصة كلها شغلة نسوان وحب وغرام وسواليف زي هيك – أنداري شو هالقصة كلها من وين اجت ع بالنا؟) ما علينا!

دعنا نعود لبدايات القصة بعد الخروج من الجنة، وسنبدأ النقاش في هذا الموضوع بالآيات الكريمة التالية التي قد تبدو للوهلة الأولى غريبة في سياق الحديث عن قصة الخلق بعد الهبوط، قال تعالى:

- ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ
مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ
جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ
ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ
حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ
ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي
ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠﴾ [البقرة: 197-200]

ليكون السؤال المفاجئ الآن هو: ما علاقة هذه الآيات الخاصة بشعيرة ومناسك الحج بسياق الحديث عن قصة الخلق بعد الهبوط من الجنة؟

رأينا المفترى: لو تفقدنا هذا السياق القرآني، لوجدنا أن المتدبر سيطرح - لا محالة - تساؤلات تطير لها الألباب، نذكر منها:

⇐ لماذا نحُج؟

⇐ وما هو الحج؟

⇐ ولماذا سمي حج البيت؟

- ⇐ ولماذا هو أشهر معلومات؟
- ⇐ لماذا لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج في أشهر الحج؟
- ⇐ لماذا عرفات؟
- ⇐ لماذا هي افاضة من عرفات؟
- ⇐ ما هو المشعر الحرام؟
- ⇐ وكيف سنذكر الله عند المشعر الحرام؟ ألم نكن نذكره في عرفات؟
- ⇐ وكيف نذكره كما هدانا؟ ومتى هدانا لذكره؟
- ⇐ كيف سنفيض من حيث أفاض الناس؟
- ⇐ والأهم من هذا كله، من هم نحن المطلوب منا أن نفيض؟ ومن هم الناس الذي أفاضوا حتى نفعل كما فعلوا؟
- ⇐ ومتى سنقضي مناسكنا؟
- ⇐ ولماذا نذكر الله بعد أن نقضي مناسكنا؟
- ⇐ وكيف نذكر الله حينئذ كذكرنا آباءنا أو أشد ذكرا؟
- ⇐ الخ

رأينا المفترى: قبل أن ندخل بتفاصيل كل هذه التساؤلات ومثلها، نطلب من القارئ الكريم الذي يريد متابعة النقاش معنا (ونتمنى أن لا يكونوا كثيرين) أن يبدأ التفكير بهذه التساؤلات مجتمعة في ضوء **الافتراء الخطير التالي**: إن رحلة الحج من أولها لأخرها هي اعادة لسيناريو الخلق بعد حادثة الهبوط من الجنة. انتهى.

تخيلات ربما غير مسبوقة

عندما أُهبط آدم وزوجه من الجنة (إلى الواد غير ذي الزرع الذي بمكة)، كان القرار الإلهي أن يأخذ ربنا الذرية من ظهور بني آدم أجمعين، فجمعهم في مشهد مهيب على عرفات، واشهدهم على أنفسهم أنه هو ربهم، ووصاهم بواليدهم حسنا، وأن الحمل سيكون للأم هونا على هون. فمن أراد ذلك، لكي يعود إلى الجنة من جديد، ويستطيع المضي قدما راغبا لا مجبرا، يتوجب عليه أن يفيض من هناك، من عرفات. ومن لا يريد، فله أن لا يفيض من عرفات، فهو لن يكون من الناس الذين سيقرون في الأرحام.

تفصيل الافتراء

دعنا نبدأ النقاش بالآية الكريمة التي هي محور النقاش، قال تعالى:

- ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [الأعراف: 172]

لنطرح **التساؤل الأول** هنا، ألا وهو: أين حصلت تلك الشهادة (أي شهادة الله للناس على أنفسهم)؟

رأينا المفترى: في عرفات.

السؤال: لماذا حصلت في عرفات؟ وما الدليل على ذلك؟
رأينا المفترى: حتى يكون القرار لمن أراد المضي قدما بالطريقة الجديدة (التكاثر الجنسي). وهناك تمت افاضة الناس:

- ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ [البقرة: 198]

فعند المشعر الحرام كانت شهادة الله للناس على أنفسهم بأنه هو ربهم:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172]

وحذرهم من اتخاذهم حجة اشراك الآباء لأنهم ولدوا في مكان أو زمان ما:

- ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: 173]

وهناك (نحن نظن) كانت وصاية الله للناس بالوالدين:

- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: 8]
- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: 14]
- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: 15]

لذا جاء الحث للناس في الحج أن يذكروا الله هناك كذكرهم آبائهم:

- ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ [البقرة: 200]

فرحلة الحج التي تبدأ من عرفات هي (نحن نظن) محاولة جديرة أن تذكرنا بذلك الموقف، ومناسك الحج بعدها هي تتبع خطوات تلك الرحلة الأولى التي سلكناها (نحن بنو آدم) بعد أن أهبط آدم وزوجه من الجنة إلى الواد غير ذي الزرع. وهناك كانت شهادة الله للناس على أنفسهم.

السؤال: كيف نفهم شهادة الله للناس على أنفسهم أولا؟

رأينا المفترى: لما تحول التكاثر من الخلافة إلى الملك، كان لابد من استشارة الناس بذلك، ليقرر الشخص بنفسه إن كان يريد المضي قدما في ذلك حتى يعود من جديد إلى الجنة التي أخرج منها آدم وزوجه بسبب نزع اللباس عنهما، وهناك كان شهادة الله للناس على أنفسهم، أي أشهد الله ذرية بني آدم (بالملك) جميعا هناك بأنه هو ربهم، وأوصى من أراد المضي قدما للوصول إلى الجنة من جديد أن يجد نفسه، أي زوجه (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ) حتى يستطيعوا دخول الجنة أزواجا. فأفاض الناس من هناك باحثين عن أنفسهم، فكانت تلك هي إفاضة الناس الأولى من عرفات التي طلب الله منا أن نفيض منها عندما نقوم بشعيرة الحج:

- ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٩﴾ [البقرة: 199]

نتيجة مفتراة: في الحج يفترض أن يكون الرجال فقط في عرفات والنساء يكن منتظرات حاضرات المسجد الحرام في منى. وافاضة الناس من عرفات تذكرهم بأنفسهم التي خلقت منهم. (سنتعرض لهذا الافتراء بالتفصيل لاحقا إن أذن الله لنا بشيء من علمه فيها).

ولو تدبرنا النص جيدا، لوجدنا بأن شهادة الله للناس على أنفسهم كانت على النحو التالي:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [الأعراف: 172]

ولو تابعنا السياق ذاته لوجدنا الآية الكريمة التالية:

- ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ١٧٣﴾ [الأعراف: 173]

وهنا نطرح السؤال الأكثر غرابة على الاطلاق ألا وهو: إذا كان الله قد اشهد تلك الذرية جميعها على أنه هو ربهم حتى لا يكون ذلك حجة لهم على الله يوم القيامة، فلماذا كان هناك نفي لحجة شرك الاباء؟ فالمدقق بالنص القرآني في هذا السياق، سيجد أن الله قد أشهد الناس على أنفسهم لسببين:

1. لئلا يكون لهم عذر بأن الله ليس بربهم، فيتحججوا بالغفلة:

- أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ

2. لئلا يكون لهم العذر باشراك الآباء وأنهم ذرية من بعدهم

- أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ

السؤال: ما دخل الآباء بهذا الاشهاد؟ لماذا جاء ذكر التحجج بشرك الآباء هنا؟

جواب مفترى خطير جدا: لأن الذرية هي من تختار الآباء وليس العكس. فأنت من اخترت والديك. ومادام أنك أنت من اخترت والديك، فلا حجة لك على الله يوم القيامة لاختيارك هذا. ولا يمكن أن تتعذر بشرك الآباء. انتهى.

الدليل

لو دققنا في الآيات القرآنية الخاصة بالعلاقة بين الأبناء والاباء، سنجد فعل الوصاية حاضرا. قال تعالى:

- ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [العنكبوت: 8]
- ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤﴾ [لقمان: 14]
- ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾ [الأحقاف: 15]

والمدقق في هذه السياقات، سيجد الملاحظات التالية:

أولا، جاء في النص القرآني فعل الوصاية بالوالدين في ثلاثة مواضع من كتاب الله

ثانيا، جاءت جميع هذه السياقات بصيغة الفعل الماضي (وَوَصَّيۡنَا)

ثالثا، جاءت جميع هذه السياقات بصيغة الفعل الماضي المعطوف (وَوَصَّيۡنَا)

رابعا، جاءت جميع هذه السياقات تحمل الوصاية للوالدين وليس للأبوين (وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ)

خامسا، جاء فعل الوصاية في اثنين من السياقات مرتبط بالأم وعملية الحمل؟

الخ

السؤال: لماذا؟ وكيف نفهم ذلك كله؟ ومتى حصل فعل الوصاية من الله للإنسان بوالديه؟وأين حصل ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن ذلك قد تم عندما أخذ الله الذرية من ظهور بني آدم واشهدهم على أنفسهم، فكان فعل الوصاية هو واحد مما أشهد الله به الناس على أنفسهم حينئذ، وهما

1. أن لا يشركوا به شيئا، فلا يقولوا يوم القيامة أنهم كانوا عن هذا غافلين:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172]

2. أن لا يحتجوا بإشراك آبائهم من قبل، وأنهم كانوا ذرية من بعدهم:

- ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: 173]

لهذا، جاء (نحن نظن) فعل الوصاية بصيغة الماضي المعطوف على ما سبق (وَوَصَّيْنَا). فهناك حصل (نحن نتخيل) فعلان متتابعان زمنيا، فكان الأول شهادة الله للناس على أنفسهم بأنه ربهم، وكان الثاني اختيار الذرية للآباء، فلا يحتجوا بذلك بالغفلة إن هم كان يشركون.

ولو حاولنا أن نرى الآن الصورة المقابلة، وهي وصاية الوالدين بالأولاد، سنجد الآية الكريمة التالية:

- ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء: 11]

وسنجد الملاحظات التالية:

أولا: أن وصاية الله الآباء بالأولاد لم يحصل إلا في آية واحدة

ثانيا، أن فعل الوصاية جاء بصيغة المضارعة (يُوصِيكُمُ)

ثالثا، أن فعل الوصاية ليس معطوفا على فعل سابق (يُوصِيكُمُ)

رابعا، أن فعل الوصاية هنا خاص بتقسيم الميراث

خامسا، أن فعل الوصاية جاء بالأولاد وليس بالأبناء.

السؤال: كيف يمكن أن فهم ذلك كله؟
رأينا المفترى: نحن نفهم ذلك – ربما مخطئين – بأن وصاية الله الآباء بأولادهم (ذكورا وإناثا) ليست قديمة، وإنما هي وصاية متجددة، لأن ذلك لم يحدث قديما في مشهد الشهادة التي أخذها الله من الناس عندما كانوا ذرية. فالآباء لم يختاروا أولادهم، كما اختار الأبناء والديهم. فأنا من اخترت أبي عندما كنت واحد من الذرية في ظهره، ولكن أبي كان في تلك اللحظة يتمتع بشهوته فما كان في منشغل البال باختياري أنا على وجه التحديد. فأنا (كحيوان) كنت أعلم تماما أن هذا أبي، وأني سأكون ذرية من بعده، فلا حجة لي يوم القيامة على الله لسوء اختياري. انتهى.

نتيجة مفتراة 1: وصاية الله الأولاد بوالديهم وصاية قديمة غير متجددة حصلت عندما أشهد الله الناس على أنفسهم في عالم الذر، فهي فعل ماض حصل مرة واحدة، وانتهى.

نتيجة مفتراة 2: وصاية الله الآباء بالأولاد جديدة، تحصل مع ولادة الشخص، وتجدد على الدوام.

الدليل
لو جلبنا الآية الكريمة التالية إلى هذا النقاش:

- ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: 23]

سيكون **السؤال** التالي هو محرك البحث هنا: متى حصل أن قضى ربنا بأن لا نعبد إلا إياه أولا، ثم بالوالدين إحسانا؟ وما معنى أن ذلك كان قضاء أساسا؟
رأينا المفترى: مادام أن ذلك كان قضاء، فهو أمر لا رجعة فيه (انظر سياقات الفعل قضى ومشتقاتها في النص القرآني)، ومادام أن القضاء كان في أمرين متتابعين وهما:

1. ألا تعبدوا إلا إياه
2. وبالوالدين إحسانا

فعلينا أن نبحث عن الوقت والمكان الذي حصل فيه ذلك القضاء. ونحن نظن (ربا مخطئين) بأن ذلك القضاء قد حصل هناك عندما أخذ الله الذرية من ظهور الآباء:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172]
- ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: 173]

نتيجة مفتراة مهمة جدا: عندما وقع آدم وزوجه في شرك الشيطان، واستطاع الشيطان أن ينزع عنهما لباسهما، لم يعد بالامكان أن يتم التزاوج بينهما بالنفخ، وأن تبقى السوءة موارة عنهما، واصبح خروجهما من الجنة أمر حتمي، ولكن كان هناك تحولا في طريقة تحصيل الذرية، فأصبحت ممكنة فقط بالملك، لكن لم يكن ذلك ليتم عنوة. فكان القرار الإلهي أن يأخذ الذري جميعا من ظهور بني آدم ليشهدهم على أنفسهم بأن الله هو ربهم، وأن تكاثرهم اصبح حتمي بطريقة الملك، وأن من أراد المضي قدما للعودة للجنة عليه أن يقبل بهذه الطريق التي لم يعد عناك بديل عنها. فأصبح هناك الذرية من الآباء والأولاد (الابناء). فكان لابد أن يأخذ عليهم شهادتهم بأن يقبلوا بالوضع الجديد إن هم أرادوا المضي قدما في البحث عن أنفسهم ليدخلوا الجنة أزواجا من جديد.

فما الذي حصل حينئذ بعد ذلك؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: المرة القادمة بنكمل إن شاء الله

المدكرون: رشيد الجراح محمد إبراهيم علي الشرمان زكريا مصباح محمد مقدادي زيد النمرات

بقلم: د. رشيد الجراح:

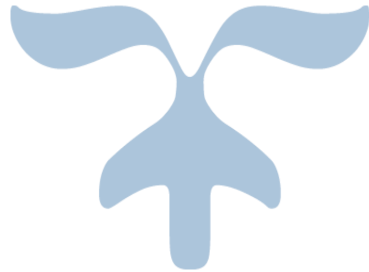
1- نيسان 2021

وللحديث بقية بإذن الله



ماذا ستفعل النساء في الجنة؟

(الجزء الخامس)



ماذا ستفعل النساء في الجنة (5)؟

خلصنا في الجزء السابق من هذه المقالة إلى افتراء الظن بأنه عندما وقع آدم وزوجه في شرك الشيطان، واستطاع الشيطان أن ينزع عنهما لباسهما الذي كان يواري سوءاتهما، كان لهذا الفعل هزات ارتدادية كبيرة جدا على مسيرة الخلق البشري، ذكرنا منها:

- لم يعد بالإمكان أن يتم التزاوج بين آدم وزوجه بالنفخ (أي التزاوج اللاجنسي)، وانقلب ليصبح بالعلاقة الجنسية (أي باستخدام الأعضاء التناسلية)
- بدت لهما سوءاتهما التي كانت قد وريت عنهما بذلك اللباس، فأصبح خروجهما من الجنة أمر حتمي
- خسر آدم الخلافة (التي أرادها الله له) وكسب الملك (الذي نصحه الشيطان به)، فتحولت طريقة تحصيل الذرية من الخلافة (النفخ)، وأصبحت ممكنة فقط بالملك (الحمل تسعة أشهر)
- لمّا لم يكن ذلك ليتم عنوة، كان القرار الإلهي (نحن نفتري الظن من عند أنفسنا) أن يأخذ الذرية كلها من ظهور بني آدم ليشهدهم على أنفسهم بأن الله هو ربهم، وأن تكاثرهم قد أصبح حتمي بطريقة الملك فقط، وأن من أراد المضي قدما للعودة للجنة من جديد، فعليه أن يقبل بهذه الطريقة التي لم يعد هناك بديل عنها. فأصبح هناك الذرية من الآباء والأولاد (الابناء). فكان لابد أن يأخذ عليهم شهادتهم بأن يقبلوا بالوضع الجديد إن هم أرادوا المضي قدما في البحث عن أنفسهم (أزواجهم) ليدخلوا الجنة أزواجا من جديد (للتفصيل انظر المقالات السابقة).
- الخ

وقد وعدنا القارئ الكريم أن نتابع البحث في هذه القضايا (وما ينبثق عنها لاحقا)، لنطرح وجهة نظرنا فيما حصل بعد ذلك.

أما بعد،

دعنا نبدأ النقاش هنا بالآية الكريمة التي اقتبسناها مرارا من أجل تسليط الضوء على قصة الخلق الأول من منظور جديد، ربما لم يعهده القارئ الكريم في مؤلفات السابقين من أهل الدراية والرواية، قال تعالى:

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11]

فهذه الآية تبين بما لا يدع مجالا للشك (نحن نظن) بأن خلق البشر جميعًا قد جاء سابقًا لسجود الملائكة لآدم وتعليمه الأسماء كلها، وقد حاولنا تبيان انعكاسات هذا التصور المفترى من عند أنفسنا على تسلسل الأحداث فيما بعد، فافترينا القول بأن آدم كان أول المصطفين من الخلق مصداقا لقوله تعالى:

- ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: 33]

وذلك لأنه الشخص الوحيد الذي كان قادرا على ايجاد زوجه الذي/التي خلقها الله من نفسه، فكانا أول المؤهلين للسكن في الجنة معا، قال تعالى:

- ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: 35]
- ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف: 19]

وزعمنا الظن من عند أنفسنا بأنه من الاستحالة بمكان أن يدخل أحد الجنة إلا بعد أن يجد زوجه التي خلقها الله له من نفسه. لذا، سيكون هناك مراسم تزويج للنفوس قبل الحساب:

- ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ٧﴾ [التكوير: 7]

فيصبح الحشر للأزواج سواء كانوا من أصحاب النار

- ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٢٢﴾ [الصافات: 22]

أو من المؤمنين في جنات النعيم:

- ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦﴾ [يس: 56]

ونحن نظن بأن السبب في ذلك يعود إلى أن أصل الخلق كان أزواجا:

- ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ٨﴾ [النبأ: 8]

لتكون النتيجة التي حاولنا الترويج لها على نحو أن السكن / الخلود في الجنة أو في النار لن يتم إلا أزواجا. فرحلة البحث عن الأزواج الحقيقية هي – برأينا – سبب ما نحن فيه منذ بدء الخلق حتى العودة إلى ما كنا فيه من ذي قبل. (وسنحاول التعرض لهذه القضية الخطيرة جدا لاحقا إن أذن الله لنا بشيء من علمه فيها، لأنها (نحن نتخيل) ستحل اشكاليات وجودية كبيرة جدا مثل قضايا المرض والموت والغنى والفقر، وما شابه ذلك.

فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم وأن يهديني لأقرب من هذا رشدا، وأن يزدني علما، إنه هو السميع البصير.

وزعمنا الظن بعد ذلك بأنه ما أن يدخل المؤمنون الجنة أزواجا حتى يتم تزويجهم من جديد بالحوار العين، فيصبحوا أزواجا ثلاثة:

- ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ٧﴾ [الواقعة: 7]

وما أن يدخل الكافرون النار حتى يتم تقرينهم بالقرين، فيصبحوا ثلاثة:

- ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٥٠ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ٥٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ٥٣ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ٥٤ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٥٥ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ٥٦ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٥٧﴾ [الصافات: 50-57]

نتيجة مفتراة 1: العلاقة في الجنة مع الحور العين هي علاقة تزاوج

- ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١ وَحُورٌ عِينٞ ٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ ٢٣ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾ [الواقعة: 20-24]
- ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٤ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ٤٥ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ٤٧ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾ [الصافات: 40-49]
- ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٥ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٥٦﴾ [الرحمن: 54-56]
- ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٧٤﴾ [الرحمن: 72-74]

نتيجة مفتراة 2: العلاقة في النار مع القرين هي علاقة تقرين

- ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: 38]
- ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الصافات: 51]
- ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: 36]
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: 38]
- ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ [ق: 23]
- ﴿۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾ [ق: 27]

نتيجة مفتراة مهمة جدا: الأزواج يدخلون الجنة كما يدخلون النار، لكن الفرق بين الحالتين هي في حين أن داخلي الجنة من الأزواج يتم تزويجهم بالحور العين، فإن داخلي النار من الأزواج يتم تقرينهم بالشياطين.

ولكن دعنا الآن نركز على قضية مهمة في النقاش الأولي حول هذه القضايا وهو ما جاء في الآية الكريمة التي ابتدأنا النقاش بها، وهي قوله تعالى:

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11]

وفي هذا الصدد سنطرح أسئلة محورية حول جزئية مهمة في هذه الآية الكريمة تخص مفردة (صَوَّرْنَاكُمْ) التي قلما وجدنا من يتعرض لها بشيء من التفصيل. ومحرك البحث هنا هو سؤال رئيسي واحد،

ألا وهو: ما معنى " صَوَّرْنَاكُمْ " الواردة في هذه الآية الكريمة؟

إن أول الافتراءات التي سنقدمها هنا هو أن التصوير قد كان المرحلة الثانية الفاصلة بين الخلق (المرحلة الأولى) والطلب الإلهي من الملائكة السجود لآدم (المرحلة الثالثة). فالآية الكريم تبين لنا تسلسل الأحداث على مراحل ثلاثة، ألا وهي:

- مرحلة الخلق (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ)
- مرحلة التصوير (ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ)
- مرحلة الطلب الإلهي من الملائكة السجود لآدم (ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا)

وقد حاولنا في مقالات سابقة لنا التعرض للمرحلة الأولى بشيء من التفصيل، كما حاولنا التعرض للمرحلة الثالثة بشي من التفصيل أيضا، لكنّا لم نتعرض حتى الساعة للمرحلة الوسطى بينهما، وهذا ما سنحاول التعرض له هنا، والهدف من ذلك أن نربط الأحداث بعضها ببعض، محاولين أن نبيّن علاقة التصوير بالدخول في الجنة (أو النار) أزواجا، وبالتالي تسليط الضوء على قضية الحور العين بعد ذلك من هذا المنظار. فالله نسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم، وأن يزدني علما، وأن يهديني لأقرب من هذا رشدا، إنه هو السميع البصير.

أما بعد،

السؤال الأول: ما معنى " صَوَّرْنَٰكُمْ "؟

جواب مفترى: عندما حاولنا البحث عن هذه المفردة في النص القرآني، وجدنا سياقات قرآنية عديدة نظن أن لها علاقة مباشرة بهذه المفردة. فدعنا نحاول جلب هذه السياقات تباعا، لنرى إن كنا نستطيع أن نفهم مفردة "صورناكم" الواردة في الآية قيد البحث بطريقة جديدة، في ضوء هذه السياقات القرآنية المتعددة.

أولا، الله هو المصور، قال تعالى:

- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: 24]

وما دام أن الله هو المصور، جاءت صورنا هي الأحسن:

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر: 64]
- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التغابن: 3]

السؤال: متى صورنا الله، فأحسن صورنا؟

جواب مفترى: بعد الخلق مباشرة وقبل السجود لآدم

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11]

ثانيا، لو تابعنا البحث في السياقات القرآنية، لوجدنا الآية الكريمة التالية:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران: 6]

السؤال: هل تصويرنا **في الأرحام** هو تصويرنا ذاته في مرحلة ما بعد الخلق الأول وقبل السجود لآدم؟

جواب مفترى: كلا. فذاك تصوير هو الأحسن، أما هذا التصوير فهو ليس الأحسن لأنه عرضة للتغير مصداقا لقوله تعالى:

- ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 8]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: إن ما يهمنا طرحه حتى الساعة هو جلب انتباه القارئ الكريم إلى عمليتين من التصوير لنا، وهما:

التصوير بعد الخلق الأول وقبل السجود لآدم، فكان ذلك هو التصوير الأحسن:

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٤﴾ [غافر: 64]
- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ [التغابن: 3]

التصوير في الأرحام، فكان ذلك هو التصوير المركب:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: 6]
- ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 8]

إن أبسط ما يمكن أن نفهمه من ذلك أن كل واحد منا (نحن البشر) قد حصل له تصويران، كان أحدهما في الخلق الأول، فكان تصويره ذاك هو الأحسن، ثم حصل له تصوير آخر في الأرحام فكان ذلك تصويرا ليس الأحسن ولكنه مركب. ليكون السؤال الآن هو: ما الفرق بين الحالتين؟

باب التصوير الأحسن

عندما خلقنا الله كبشر من طين:

- ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۝٧١﴾ [ص: 71]

جاء ذلك الخلق مصورا، فكان في صورته الأحسن:

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر: 64]
- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التغابن: 3]

فما كان فيه عيب، وما كان يمكن أن يجرى عليه أي تعديل أو تحسين أضافي، فأي تعديل على تلك الصورة سيحدث فيها عيبا. فمفردة "الأحسن" تدل على أن عملية التحسين قد وصلت نهايتها (للتفصيل في هذه الجزئية انظر مقالتنا في قصة يوسف التي هي أحسن القصص). إن ما يهمنا طرحه هنا هو أن تلك الصور كانت في منتهى الدقة والاتقان مادام أن الله هو الذي صورها.

باب التصوير المركب

لكن عندما انحرفت قصة البشرية في الجنة من مبدأ الخلافة (كما أرادها الله) إلى مبدأ الملك (كما أرادها آدم بسبب نصيحة الشيطان)، ضاعت الأزواج الحقيقية، فما عاد التكاثر بين الأزواج الحقيقين، وأصبح التكاثر جنسيا بين الذكر والأنثى، فكان لزاما (نحن نتخيل) أن يحصل تصوير جديد لنا في الأرحام، فكان هذا التصوير الجديد في الأرحام ليس الأحسن وإنما أصبح تصويرا مركبا. ولندقق في السياقات ذاتها مرة أخرى:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران: 6]
- ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: 8]

فهذه الآيات الكريمة تثبت (ربما بما لا يدع مجالا للشك) إن التصوير الذي حصل في الأرحام هو تصوير مختلف عن التصوير الذي حصل في الخلق الأول، وأن من خصائص هذا التصوير أنه مبني على المشيئة:

- هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ

كما أنه تصوير مركب:

- فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ

ليكون **السؤال** الآن: ما هو التصوير المركب؟

لو دققنا في معنى الفعل ركَب وركَّب ومشتقاتها، لوجدنا أن الفعل لا يمكن أن يتم إلا بوجود كينونتين منفصلتين، مختلفتين عن بعضهما البعض. فأنت كشخص – مثلا – تركب الخيل والبغال والحمير:

- ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: 8]

فالراكب هو الذي يمتطي شيئا آخر ليعتليه:

- ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة: 239]
- ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: 42]

كما هي الحال في ركوب الدواب والأنعام:

- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [غافر: 79]

أو السفن والفلك

- ﴿۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: 41-42]
- ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف: 71]
- ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: 65]
- ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يس: 41-42]
- ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق: 19]

ولو دققنا في هذه الآيات الكريمة، لربما خرجنا بافتراءات غريبة جدا، نذكر منها:

- أن هدف الركوب هو الانتقال، فأنت تركب الدواب والأنعام والسفن والفلك، لتنتقل من مكان إلى آخر
- أن أداة الانتقال في المجمل هي الدواب والأنعام والسفن (الفلك)
- أن الآيات تجمع بين أدوات الركوب هذه مع خلق الأزواج:

- ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الزخرف: 12]

- أن المركوب هو أداة نقل الراكب (أو متاعه) إلى مبتغاه

إن ما يهمنا طرحه هو أن نجلب انتباه القارئ الكريم إلى أن يتخيل بطن الأنثى كما السفينة (الفلك) الذي ينقل الذرية إلى بر الأمان، كما حصل مع نجاة من ركب في الفلك مع نوح:

- ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الشعراء: 19]

فالذرية التي تركب ذلك الفلك تصل إلى البر، وهناك في الفلك يكون دعائهم مخلصين لله الدين، ولكن ما أن تتم لهم النجاة حتى ينكثوا ما عاهدوا الله عليه (بأنه هو ربهم)، فتكون النتيجة الإشراك به:

- ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥﴾ [العنكبوت: 65]

ولو دققنا في الفعل ركّب (بتشديد الكاف) لوجدنا أنه يحمل في ثناياه معنى التغيير من شكل إلى آخر، ولنا في دروس الكيمياء في صفوف المدرسة عبرة، عندما كنا نقوم بتجارب المركبات الكيميائية، فهي ليست أكثر من وضع عنصر ما على عنصر آخر، لينتج لك عنصرا جديدا (شكلا جديدا).

كما لنا في دروس الزراعة في المدارس ذاتها عبرة، في تركيب الأشجار، فالتركيب يتم بوضع برعم حي من شجرة في غصن آخر من شجرة أخرى، ليتم التزاوج وانتاج "عنصر" جديد. أليس كذلك؟

وهذا بالضبط (نحن نرى) ما يتم في الأرحام، أنه التصوير بالتركيب. فماء الرجل (الحيوان المنوي) يحمل خصائص معينة (قليلة اساسية)، وبويضة الأنثى تحمل خصائص معينة (كثيرة ثانوية)، فعندما يحصل التركيب بينهما، ينتج "مخلوق" جديد يحمل الصفات الوراثية لكليهما، فيكون مخلوقا مركبا. ويكون تصويرا جديدا مختلف تماما عن الصورة الأولى التي كانت لك في الخلق الأول، وذلك لأن صورتك الأولى لم تكن نتاج تركيب. ولكن صورتك الآن هي نتاج ذلك التركيب بين ما كان من الذكر (والدك) وما كان من الأنثى (والدتك).

فعندما تنجح عملية التزاوج بين الذكر والأنثى في الأرحام، تكون النتيجة صورة جديدة بناء على– لنقل- هذه العجينة العجيبة الجديدة. فأنا مركب من تزاوج الحيوان المنوي من والدي مع البويضة من والدتي، فكانت صورتي الحالية. ولكن لو كنت أنا نتاج التزاوج بين أبي ذاته مع امرأة اخرى ليست أمي هذه، لكانت صورتي لا شك ستختلف. فالذي يغير الشكل (الصورة) هي الأم بما تحدث من تأثير في خصائص الحيواني المنوي الذي تحمله في بطنها بعد عملية التزاوج. فأنت - كذرية - موجود أصلا في ظهر والدك، كنت ستأتي إلى الوجود سواء كان ذلك عن طريق أمك هذه أو أم غيرها، وكل الذي سيختلف هو الصورة المركّبة. فشكلك وتركيبك الحالي هو نتيجة تزاوج والدك مع هذه المرأة، ولو اختلفت المرأة، لاختلف التركيب، وبالتالي لاختلفت الصورة.

ونحن نظن جازمين بأن مثل هذا الطرح – على ركاكته - سيحل ابتداء اشكاليات كثيرة جدا، نذكر منها:

- مشاكل الجمال
- مشاكل المرض
- مشاكل الوراثة، كقضايا المعاقين
- مشاكل العقم
- الخ.

وسنتعرض لهذه القضايا تباعا لاحقا إن شاء الله عندما يأذن الله لنا بشيء من علمه فيها.

فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم وأن يهديني لأقرب من هذا رشدا، وأن يزدني علما، إنه هو العليم الحكيم.

أما الآن، نحن ندعو القارئ الكريم أن يركز الانتباه على الفصل بين التصوير الأول الذي كان في الخلق الأول والتصوير الثاني الذي كان في الأرحام، ففي حين أن الأول كان الأحسن، كان الثاني مركبا.

الافتراء الأول: عندما خلقنا الله (كبشر) كنا مصورين بأحسن الصور

الافتراء الثاني: عندما كنا ذرية (ناس) خرجنا من بطون امهاتنا مصورين بالتركيب.

وربما المشاهدات البسيطة في أثر العامل البيولوجي الوراثي في شكل الشخص لا يمكن انكاره، لأنه واضح للعيان من التشابه بين الأقارب، كما أن التأثير السلبي للعامل البيولوجي في ظهور الاعاقات والتشوهات الخلقية عند الولادة واضحة للعيان كذلك. فالإنسان هو المسئول عن هذه المشاكل لأنه يستطيع أن يتجنبها بكل يسر وبساطة، فلو بذل الانسان الجهد لمراقبة هذه المشاكل في محاولة لتجنبها، لوجد الحلول وافرة أمامه. فمن غير المنطقي أن تُحدِث أنت المشكلة بيدك، ثم تلقي باللائمة على الأقدار فيما حصل لك نتيجة تلك المشاكل التي كنت أنت سببها.

ولو راقبنا عملية التزاوج داخل البطون، لوجدنا أن الحيوانات المنوية تنزل في البطون بأعداد كبيرة، لكن لا تنجح إلا واحدة منها بعملية التلقيح، وذلك لأن عملية التركيب (كما هي تركيب الأشجار) ليس بالضرورة أن تنجح إلا أن كانت العملية قد تمت بالظروف الملائمة. فالعقم الناتج عن فشل عملية التلقيح يختلف عن العقم الناتج عن عدم وجود الحيوانات المنوية أصلا. قال تعالى:

- ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: 49-50]

وهذا يعني أن بويضة الأنثى لا تتقبل كل الحيوانات المنوية الزاحفة إليها، وإنما تنتقي من يلائمها منهم. فهي الحاضنة، وبالتالي هي التي تقرر نجاح عملية التركيب أو فشلها. ففي حين أن الذكر هو المسئول عن وجود أو عدم وجود الحمل، فالأنثى هي من تقرر نجاح العملية أو فشلها. وسنتعرض لهذه القضية بشيء من التفصيل إن أذن الله لنا بشيء من علمه فيها لاحقا إن شاء الله. فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم وأن يهديني لأقرب من هذا رشدا وأن يزدني علما، إنه هو العليم الحكيم.

لكن دعنا نتابع الحديث هنا في قضيتنا الرئيسية وهي التصوير، ولو تابعنا البحث في السياقات القرآنية عن مفردة صور ومشتقاتها، لوجدنا آيات عديدة خاصة بالنفخ في الصور، قال تعالى:

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣﴾ [الأنعام: 73]
- ﴿۞وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾ [الكهف: 99]
- ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ١٠٢﴾ [طه: 102]
- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون: 101]
- ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ٨٧﴾ [النمل: 87]
- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ٥١﴾ [يس: 51]
- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر: 68]
- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠﴾ [ق: 20]
- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣﴾ [الحاقة: 13]
- ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨﴾ [النبأ: 18]

ليكون **السؤال** الآن هو: هل لمفردة الصور (الذي سينفخ فيه) علاقة بمفردة التصوير التي جاءت في الآية الكريمة محور البحث، وهي قوله تعالى:

- ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١﴾ [الأعراف: 11]

جواب مفترى: غالبا ما تبادر لذهن القارئ للنص القرآني بأن **الصور** الذي سينفخ فيه ليصعق الناس، والذي سينفخ فيه مرة أخرى لبعث الحياة فيهم من جديد الوارد ذكره في قوله تعالى

- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر: 68]

هو شيء أقرب ما يكون للبوق، وهذا الفهم مصدره ما نقله لهم أهل الرواية من بطون أمهات كتب التفسير من عند أهل الدراية. والقارئ الكريم مدعو للذهاب هناك ليتفقد ما قاله الأقدمون في هذا الصدد.

ولمّا كنا لا نتفق كثيرا – كعادتنا – معهم، نجد لزاما أن ننشد ضالتنا بأن نسلك طريقا جديدا يربط اللفظين معنا، وهما مفردة الصور الذي سينفخ فيه:

- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر: 68]

ومفردة صَوَّرۡنَٰكُمۡ الواردة في الآية الكريم قيد البحث.

- ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١﴾ [الأعراف: 11]

السؤال مرة أخرى: هل هناك علاقة بين مفردة الصور الواردة في الآية الأولى ومفردة صورناكم الواردة في الآية الثانية؟

جواب مفترى: نعم. نحن نظن أن المفردتين تتشاركان في المصدر اللفظي ذاته وهو الجذر الثلاثي (ص و ر). فما معنى هذا الجذر اللفظي الثلاثي؟

في محاولتنا الاجابة على هذا السؤال، علينا أن نطرح اسئلة عديدة نظن أنه لها علاقة بفحوى النقاش هنا، نذكر منها؟

⇐ ما معنى التصوير؟
⇐ ما الغاية من التصوير؟
⇐ لماذا ترتبط مفردة الصور بالنفخ؟ أي كيف ينفخ في الصور؟
⇐ هل عندما خلقنا الله وصورنا، هل تمت عملية النفخ؟
⇐ وأين تم النفخ إن كان ذلك قد حصل فعلا؟
⇐ لماذا ينفخ في الصور مرتين؟
⇐ كيف تؤدي النفخة الأولى إلى أن يصعق من في السماوات والأرض؟
⇐ كيف تؤدي النفخة الأخرى إلى قيامهم ينظرون؟
⇐ الخ.

نحن نظن أن التصوير (أخذ الصورة) هي أهم طريقة لتحديد هوية الشخص، لذا نجد أن جميع الوثائق الشخصية تعتمد على الصورة لتحديد هوية الشخص، فالهوية الشخصية، وجواز السفر، وبطاقة التأمين الصحي، وغيرها تحمل صورة الشخص، حتى تقلل من عمليات النصب والاحتيال. فالصورة تحدد ملامح الشخص للتعرف عليه من قبل الآخرين. كما نجد بأن الناس مغرمون بالتصوير لأنها طريقة لحفظ الذكريات، مادام أن شكل الشخص يتغير مع مرور الزمن. فشكلي أنا شخصيا في بداية عشرينيات العمر ليس مطابقا تماما لشكلي في نهاية أربعينياته أو بداية خمسينياته. فالصور تخلد الذكريات. وقديما كان الناس يلجؤون إلى الرسم،

فازدهرت مهنة الرسام في معظم ثقافات الأرض إلا في المجتمعات الدينية التي حرم كهنتها مثل هذه المهنة العظيمة.

ولو دققنا في مفردة الصور، لوجدنا بأنها قد ارتبطت على الدوام بمفردة النفخ. فالصور ينفخ فيه، لكن عندما خلقنا الله وصورنا، هل نفخ فينا؟

جواب مفترى: نعم، وذلك واضح في قوله تعالى:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: 28-29]
- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ [ص: 71-72]

نحن نفتري الظن بأن النفخ الإلهي في ذلك الخلق لم يكن قد حصل بعد الخلق مباشرة، ولكن بعد التسوية (أي ادخال النفس فيه). فعندما خلقنا الله وأدخل في ذلك الخلق النفس، جاءت عملية النفخ، فكان النفخ في الصور:

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾ [الأعراف: 11]

لذا، جاءت عملية التصوير (صَوَّرْنَٰكُمْ)، منفصلة ولاحقة لعملية الخلق. فكيف تم ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أنه ما أن خلقنا الله (كجسم) وسوّانا (كجسم فيه نفس) حتى جاءت عملية النفخ في تلك الصور التي شكّلها الله في أحسن ما يكون:

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٤﴾ [غافر: 64]
- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ [التغابن: 3]

فدبت الحياة في تلك الصور بسبب تلك النفخة. انتهى.

نتيجة مفتراة 1: النفخ في الصور يحدث فيها الحياة

وهذا يفسر لنا لماذا النفخة الأخرى في الصور تؤدي إلى أن تدب الحياة في كل ما في السماوات والأرض فإذا هم قيام ينظرون.

نتيجة مفتراة 2: النفخ في الصور يحدث الصعق لمن ما في السماوات والأرض

فلو دققنا النظر في النفخة الأولى، لوجدنا بأنها تؤدي بهم إلى أن يصعقون:

- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر: 68]

ليكون **السؤال** على النحو التالي: لماذا تؤدي النفخة الأولى إلى أن يصعق الناس بينما تؤدي النفخة الثانية إلى قيامهم ينظرون؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن السبب في ذلك يعود إلى فعل النفخ ذاته. فمفردة النفخ تحمل في ثناياها إحداث الحرارة بقدر محدد. فإذا ما زادت كمّية النفخ، أدت إلى رفع درجة الحرارة أكثر من اللازم، فكانت النتيجة الصعق:

- وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ

فالنفخة الأولى في الصور تؤدي إلى رفع درجة الحرارة أكثر من اللازم، كما هي الحال – مثلا- عندما نفخ ذو القرنين:

- ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦﴾ [الكهف: 96]

لكن النفخة الأخرى تكون بالقدر الذي يحدث الحياة في الأجسام. فهي إذا بمفرداتنا الدارجة عملية شحن. فإذا زادت كمية الحرارة الناجمة عن الشحن، كأن تشحن جهاز يعمل بفولتية 110 بفولتية 220، فإن ذلك يؤدي إلى عطب ذلك الجهاز كليا. ولكن إن أنت شحنته بالفولتية المقدرة، سيعمل الجهاز حتى بعد أن تكون قد نفذت منه الحياة من ذي قبل. فذلك هو النفخ. ولا شك أن هذا يذكرنا بما كان يفعله عيسى بن مريم:

- ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ [آل عمران: 49]

- ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ١١٠﴾ [المائدة: 110]

نتيجة مفتراة: النفخ يودي إلى اعطاب الجسم، فيهلك

نتيجة مفتراة: النفخ يؤدي إلى بث الحياة في الجسم، فيحيى

نتيجة مفتراة: النفخ هو الشحن بالحرارة، فإذا زادت عن المطلوب أهلكت الجسم، وإذا كانت بقدر معلوم أحيته

لكن **السؤال** الآن هو: أين يتم النفخ؟
جواب مفترى: في الصور؟

السؤال: وما هو الصور؟
رأينا المفترى: نحن نظن أن الصور ليس ما يشبه البوق (كما يتخيله العامة من الناس بسبب تأويلات أهل الدراية من ذي قبل)، ولكنه يشبه (نحن نتخيل) ما نعرفه اليوم بألبوم الصور (album).

السؤال: ما هو الصور أو ما هو album؟
لو دققنا في المفردة جيدا، لوجدنا أنه ليس أكثر من وعاء يحتوي على صور متعددة، منظمة بطريقة يسهل الوصول إليها من قبل المستخدم.

السؤال: كيف يتم النفخ (احداث الحرارة) في ذلك الألبوم؟ وكيف تؤدي النفخة فيه إلى أن يصعق من في السماوات والأرض؟ وكيف تؤدي النفخة الأخرى إلى قيامهم ينظرون؟
تخيلات أغرب من الخيال نفسه: نحن نظن بأنه عندما خلقنا الله وسوانا ونفخ فينا من روحه، قد صورنا في أحسن تقويم، فجعل لكل واحد منا صورة في ذلك الصور (الألبوم) وهي صورة حقيقية تتأثر بالنفخ، فإذا ما نفخ فيها بدرجة حرارة عالية فقد هلكت، وإذا ما نفخ فيها أخرى بالقدر المعلوم، ردت لها الحياة. وما يحصل لتلك الصور في ذلك الكتاب المكنون (الصور) ينعكس مباشرة على الاجسام الحقيقية التي لها تلك

الصور في ذلك الكتاب. فصورتك في الكتاب مربوطة مباشرة معك، فإذا نفخ في تلك الصورة النفخة الأولى ستصعق أنت في العالم الدنيوي، وإذا ما نفخ في صورتك مرة أخرى، ستقوم تنظر ما يجري حولك.

الدليل

دعنا نتفقد عالم البيض، لنجد أن البيضة التي يخرج منها الحياة تتكون من جزئين رئيسيين، ألا وهما المادة البيضاء (White part) والمادة الصفراء (Yellow Part أو Egg Yolk)، ليكون السؤال الآن هو: ما الحاجة لهاتين المادتين مجتمعتين معا في البيضة الواحدة التي تنتج الحياة؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الحياة تنتج من المادة الصفراء الداخلية، وأن المادة البيضاء المحيطة بها ليست أكثر من صور، يضمن احداث عملية النفخ بدرجة الحرارة المناسبة لها لتنتج الكائن الحي الذي نبت من المادة الصفراء. وهذا الشيء ينطبق على مادة المني التي يقذفها الرجل في رحم الأنثى. فالسائل يتكون من جزئين اثنين، مادة صفراء فيها الكائن، ومادة بيضاء محيطة به تكفل وصول الحيوان المنوي إلى البويضة بظروف حرارية مناسبة، فلا تموت قبل وصولها إلى الحاضنة الجديدة وهي البويضة.

نتيجة مفتراة: الحياة تخرج من المادة الصفراء ولكن المادة البيضاء هي النفخ (الحرارة المناسبة). ولو بحثنا عن الاسم العلمي للمادة البيضاء في البيضة، لوجدناه albumen

---

السؤال: هل تظن عزيزي القارئ أن هذه التسمية عبثية؟
رأينا المفترى: نكمل في المرة القادمة بإذن الله تعالى.

المدّكرون
رشيد الجراح
محمد إبراهيم
علي الشرمان
زكريا مصباح
محمد مقدادي
زيد النمرات

بقلم: د. رشيد الجراح:
7 تموز 2021